

سلسلة الدراسات التاريخية (8)



الدُفّار المَمْلكة المنّسية

إضاءات أولية حول تاريخ منطقة الدفار

د. عوض شبّا

2021

وحدة البحوث والنشر - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

الدفار المملكة المنسية - اضاءات أولية حول تاريخ منطقة الدفار - د. عوض شبّا

سلسلة الدراسات التاريخية (8)

خلفاء مملكة المقرة (2)

الدُفّار المَمّلكة المنّسّية

(إضاءات أولية حول تاريخ منطقة الدفار)



د. عوض شبّا

الطبعة الأولى 2021م

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان
962.402 - عوض أحمد حسين شبا، 1975 -
ع. أ.د
الدفـار المملكـة المنسـية : إضـاءات أوليـة حـول تاريـخ منطقـة الدفـار/ عـوض أحمدحسـين شـبا.-الخرطوم: دار أثيريـا 2021
104ص؛ 24سم.- (سلسلة دراسات حوض البحر الأحمر)
ردمك:5-0-803-99988-978 ISBN
1- (الدفار (مروي، السودان) - تاريخ. أ- العنوان ب- السلسلة.

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2021

تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي-السودان - الخرطوم





كلمة الناشر

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

القاريء الكريم:

سلسة دراسات دول حوض البحر الأحمر مجموعة من الإصدارات الجديدة والدراسات المختارة؛ وهي ثمرة التعاون بين دار آرثيريا للنشر والتوزيع ومركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان.

هذه السلسة هي باكورة إصدارات دار آرثيريا للنشر والتوزيع من إعداد وإشراف وحدة البحوث والنشر بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر تضمنت عدد من الدراسات المختارة التى تطرقت لبعض قضايا البحر الأحمر المختلفة ونشرت في مجلات القلزم العلمية المتخصصة ، وكتب أخرى تناولت موضوعات دول حوض البحر الأحمر وخاصة السودان. ويسر دار آرثيريا للنشر والتوزيع أن تسهم في تفعيل الحراك العلمي والبحثي بنشرها لهذه الدراسات والبحوث المتنوعة لترفد به مكتبة دول حوض البحر الأحمر والمكتبة العالمية بعدد وافر ومميز من الكتب القيمة ، محققة بذلك شعارها المطروح(نحو نشر علمى رصين وهادف).

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾

سورة الإسراء, الأية (13)



إلى الأجيـال الواعـدة مـن الباحثـين الذيـن يتلمسـون طرقـاً شـتى لدراسـة تاريـخ السـودان حتـى يسـتشرفوا المسـتقبل عـلى أسـس واضحـة المعـالم أقـدم هـذه الإضـاءات ....

شكر وعرفان

إلى الاستاذ الدكتور / يوسف فضل حسن

إلى الأستاذ الدكتور /أحمد عبدالرحيم نصر

كثيرون هم الذين ساعدوني فى إعداد وجمع هذا الكتاب ، ولكني أجد نفسي ممتنا بصورة خاصة إلى هذين العالمين الجليلين الذين إقتطعا من وقتهما الثمين لقراءة مسودة هذا الكتاب في بعض مراحلها وقدما لي الكثير من الملاحظات العلمية المهمة فتحت لي آفاق جديدة للبحث عن هذه الفترة ، ولكنى فضلت أن أخرج الكتاب بشكله الحالي لعله يسهم في إلقاء الضوء على هذه المنطقة، مع معالجة ما أمكن من ملاحظات و أن أكمل ماتبقى منها وتضمين ما إستجد من دراسات حول الموضوع في الطبعة الثانية بإذن الله تعالى ...

مع خالص الشكر والتقدير للجميع

محتويات الكتاب

المقدمة

هـذا الكتـاب يمثـل الجـزء الثاني من دراسـاتنا حـول الكيّانـات السياسـية والاجتماعية التـي خلفـت مملكـة المقـرة تحـت عنـوان:)خلفـاء مملكـة المقـرة(، وقـد صـدر الجـزء الأول في كتـاب عـام 2011م، تحـدث عـن الدناقلـة والشـايقية باعتبارهـما المجموعتـان الرئيسـيتان اللتـان شـكلتا الواقـع السـياسي بعـد نهايـة مملكـة المقـرة في إطـار الجغرافيـة السياسـية للمملكـة الممتـدة عـلى النيـل مـا بـين الشـلالين الثالـث والرابـع، وذكرنـا في مقدمتنـا - للكتـاب أعـلاه- أن كل كيـان سـياسي مـن هـذه الكيانـات يحتـاج لدراسـات مفـردة ومنهـا إمـارة الدُفّـار – موضـوع هـذا الكتـاب – ونكـرر هنـا القـول بأهميـة مثـل هـذه الدراسـات لهـذه الفـترة، والتـي شـهدت تحـولات اجتماعيـة سياسـية كبـيرة في السـودان النيـلي بصـورة خاصـة، وفـق نهجنـا الـذي يقـوم عـلى تفكيـك المكونـات السياسـية والاجتماعيـة للمنطقـة المعنيـة بالدراسـة ـ ثـم تقسـيها الي موضوعـات ودراسـتها بصـورة تفصيليـة، ثـم إعـادة تركيبها وترتيبهـا مـن جديـد حتـى يمكننـا رسـم صـورة تكـون مقاربـة بقـدر الإمـكان لوقائـع تلـك الفـترة المهمـة مـن تاريـخ السـودان.

هـذا الكتـاب في مادتـه الأساسـية ورقـة علميـة قدمتهـا في ورشـة علميـة تناولـت البحـث عـن آثـار مملكـة الدُفّـار، بجامعـة إفريقيـا العالميـة عـام 2017م، ضمـن فعاليـة مـشروع سـنار عاصمـة الثقافـة الإسـلامية (2017م) بعنـوان: « ملامـح مـن تاريـخ الدُفّـار مـن خـلال الروايّـات الشـفاهية بمنطقـة المقـاودة)، ثـم واصلـت في البحـث والتقـصي عـن تاريـخ هـذه المنطقـة –المثـيرة للجـدل- وجمعـت بعـض المعلومـات وفضلـت أن أنشرهـا في هـذا الكتـاب لتكـون إضـاءات أوليـة للباحثـين عـن التاريـخ الحضـاري والثقـافي لمنطقـة المنحنـى العظيـم للنيـل ، في فـترة تاريخيـة هامـة عقـب تدهـور وإضمحـلال مملكـة المقـرة ، والتـي شـهدت تحـولات سياسـية واجتماعيـة وثقافيـة كـبرى ، واخـترت لهـذا الكتـاب عنـوان :(الدفـار المملكـة المنسـية) رغـم تحفظـي عـلى مصطلـح مملكـة وتفضيـلي لمصطلـح إمـارة أو مقاطعـة كتوصيـف لهـذا الكيـان السـياسي لأن هـذا الاسـم جـرى اسـتخدامه عـلى لسـان أهـل المنطقـة وفي بعـض المصـادر السـودانية،أما المنسـية لعـدم الاهتـمام بهـا مـن قبـل الباحثـين والدارسـين مـع أنهـا مازالـت محفـورة في الذاكـرة الجمعيـة السـودانية،فضلا عـن

إشارات مع ندرتها منثورة في بعض المدونات بدون بيان وترتيب لمسمى مملكة الدفار، ومعلوم أن ماحفظ في الصدور قابل للنسيان مع مرور الزمان وطول تعاقب الأجيال. ولأن هذا الكتاب يحاول أن يقدم إضاءات أولية لتاريخ هذه المنطقة قد تسهم في التأسيس العلمي لرسم ملامح الدفار من جوانب متعددة.

وقمت بتقسيم موضوعات الكتاب إلى خمسة فصول على النحو التالي:

الأول: موقع حصن الدفار (مدخل جغرافي آثارى)

الثاني:ملامح من تاريخ الدُفّار قبل الفترة الإسلامية.

الثالث: البديرية وإمارة الدُفّار الإسلامية

الرابع: المقابدة والمقاودة (نافذة على المكون الاجتماعي).

الخامس: التعليم الديني والإسهام الحضاري

أعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي ، ونسبة لقلة المعلومات وتضاربها في مرات كثيرة، نحت الدراسة أحياناً إلى منهج إعادة البناء التاريخي في محاولة لرسم صورة وصفية لتاريخ المنطقة[1]، وكذلك ركزت الدراسة على عرض عدد من الصور الفتوغرافية الخاصة بالمواقع الآثارية وبعض الموضوعات ذات الصلة بالدراسة، إلى جانب الخرط التوضيحية.

أن مصادر هذه الدراسة ومراجعها جاء نتيجة لإستنطاق المسوح الآثارية والتي أُجريت في موقع الدُفّار، وكتابات الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة، وبعض المخطوطات والدراسات التي تناولت جانباً من تاريخ الدُفّار، فضلاً عن المقالات التي نشرت على المواقع الإلكترونية،كم أعتمدت الدراسة على الروايّات الشفوية كمصدر أساسي من مصادر هذه الدراسة، رغم أن هناك اتجاهاً لدى بعض الدارسين يُقلّل من أهمية الرّواية الشفوية كمصدر لدراسة التاريخ لأن هناك بعض جوانب القصور قد تسودها، وفي دراسة قيمة ليان فانسينا والتي أشار فيها إلى الأهمية التاريخية للمأثورات الشفوية،والتي يعرّفها بأنها تتمثل في من كل الشواهد اللفظية التي تعد روايات منقولة متعلقة بالماضي أي أنها تحكي عن حادث لم يشاهده الراوي، ولكنه علم به عن طريق السماع، وناقش الكتاب أيضاً أوجه القصور التي تعترى الرواية أو المأثور الشفوي مثل إفتقارها إلى مفهوم التسلسل الزمني للأحداث حيث تقيس

المجتمعات الشفوية الزمن بالحوادث غير العادية مثل الكوارث والظواهر الطبيعية أو المناسبات الاجتماعية من ميلاد وزواج أو المواسم الزراعية الخ، ولتحديد الفترة الزمنية التقريبية للحوادث التي ارتبطت بالحالات السابقة يري إمكانية الإستعانة بالمصادر المكتوبة وبعلوم أخرى مثل الآثار، الفلك، التاريخ واللغة، وكذلك قد تطال الرواية التغيير والتحريف عبر انتقالها من جيل إلى الجيل التالي بسبب الإضافات التي تحدث للرواية أو الحذف نتيجة النسيان أو الإنتقاء، ويرى فانسينا أنه بالإمكان معالجة هذا الخلل إذا توفرت عدة روايات وذلك بمقارنتها مع بعضها من حيث المحتوى والزمان، ويضيف بأنه يجب التمييز بين المأثور وتفسيره، وأيضاً مراعاة النظم والقيم الإجتماعية لدى مجتمع الدراسة، ويحتاج هذا إلى إلمام الباحث الكافي بلغته وثقافته[2]، وهذه المقدمة - القصيرة - لا تتيح لنا التفصيل في هذا الموضوع لذا نقفز للقول بأن الرّواية الشفوية وجدت أهتماماً كبيراً لدى بعض المؤسسات العلمية في السودان ولعل أولها وحدة أبحاث السودان _ معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية _ جامعة الخرطوم ،وعدد مقدر من الباحثين السودانيين وتم استخدامها كمصدر لدراسة التاريخ ونشير هنا - على سبيل المثال - إلى كتاب أحمد عبد الرحيم نصر (تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية) الذي مهّد له بتقديم وافي عن أهمية الروايّة الشفاهية كمصدر لدراسة التاريخ[3]، وفي ذات الإطار يقول يوسف فضل حسن: «لا شك أن الإعتماد على المصادر الشفويّة لبعض الفترات التاريخية أمر لا غنى عنه لضعف المصادر المكتوبة من جهة، ولتعدد المجتمعات غير الكتابية في السودان من جهة أخرى. ويمكن تلافي القصور في التعامل مع المصادر الشفويّة الذي شكى منه عدد من الباحثين بمزيد من التأهيل والتدريب العلمي واستحداث مناهج للنقد التاريخي لهذه المناهج»[4]، وصفوة القول - عندي - ضرورة الإهتمام بالرّواية الشفاهية والاستفادة منها كمصدر مهم لدراسة تاريخ السودان - وخاصة الفترة ما بعد الوسيطة (1400-1800م) أو الفترة الإسلامية المبكرة - وذلك بإخضاعها للمنهج التاريخي من ناحية الضبط التوثيقي عند جمع المادة من مصادرها الشفاهية ثم تصنيفها وتحليلها.

وختاماً أتمنى أن يحقق هذا الكتاب غرضه في طرح العديد من التساؤلات حول هذه الفترة المهمة والغامضة من تاريخ السودان، وذلك بتقديم بعض الإضاءات

عـن لمنطقـة الدُفّـار وأن يكـون مفتاحـا لمزيـد مـن الدراسـات في المسـتقبل حتـي تتضـح الصـورة المرجـوة عـن هـذه الفـترة وهـذه المنطقـة وتـلافي مكامـن القصـور في هـذه الدراسـة ، وأخـيراً أتقـدم بخالـص الشـكر والتقديـر لـكل مـن قـدم لي يـد المسـاعدة والعـون حتـى وصلـت هـذه الدراسـة إلى صورتهـا الحاليـة.

عوض شبَا (المقاودة_2019م)

هوامش وحواشي المقدمة:

(1) يصف محمد جلال هاشم منهج إعادة البناء التاريخي بمحاولة رسم صورة لوجه شخص عبر توصيف دقيق يقوم به شخص آخر لم يتمكن من تملّي وجه الشخص المعني (محمد جلال أحمد هاشم، جزيرة صاي ، قصة الحضارة، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني، 2014م)، ص 14-15.

(2) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع:
يان فانيسيا ، المأثورات الشفاهية ، ترجمة: أحمد مرسى ، (القاهرة: مكتبة الدراسات الشعبية، 1999م).

(3) أحمد عبد الرحيم نصر، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، ط2، (الخرطوم: الأمانة العامة لمشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية (1438هـ /2017م)، سلسلة كتاب سنار(21).

(4) يوسف فضل حسن، الكتابة التاريخية في سودان وادي النيل (ملامح من بدايتها، ملاحظات حول تطورها، ورؤى حول مستقبلها)، (الخرطوم: الجمعية التاريخية السودانية، 2018م)، ص 54.

الفصل الأول

حصن الدُفّار (مدخل جغرافي آثاري)

الفصل الأول
حصن الدُفّار (مدخل جغرافي آثاري)

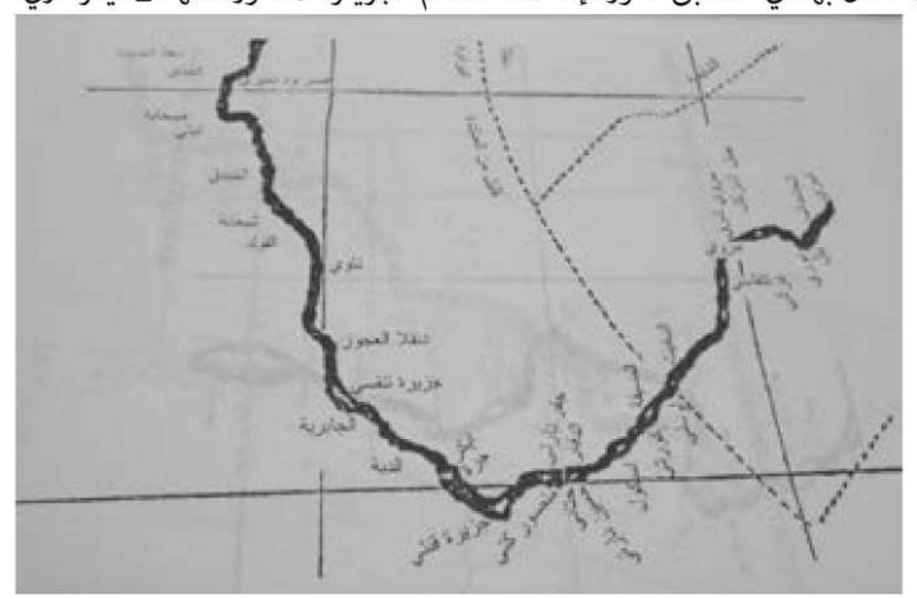
يتناول الفصل الأول الدلالات التاريخية والثقافية لاسم الدُفّار والامتداد الجغرافي لمنطقة الدفار ، ثم ووصف الرحالة والآثاريين لموقع حصن الدُفّار الأثري وملخصات للمسوح الآثرية التي تمت في الموقع ،وذلك لأهمية موقع حصن الدفار_طغى عليه الآن اسم جقرنارتى_ لأنه كان يمثل المركز الاداري الأول للمنطقة أو بمثابة العاصمة وبها عرفت اسم المنطقة ،كما وردت في المَرويات الشفوية وفى بعض المصادر السودانية _طبقات ابن ضيف الله مثلا_ لتتبع التطور الحضاري والاجتماعي والثقافي مما يعد مدخلا جيدا لدراسة تاريخ المنطقة.

1 – 1 الدُفّار .. الاسم والموقع:

الدُفّار اسم اطلق على منطقة بها قلعة قديمة، وهي تقع على الضفة اليمنى للنيل وتبعد بنحو 9 أميال عن أبي دوم قشابي[1]، أما الإمتداد الجغرافي للدُفّار – والتي أشتهرت في المدونات التاريخية السودانية بمملكة الدُفّار - فهي المنطقة الممتدة على النيل عند منحناه الكبير (شرق – غرب) من دنقلا العجوز شمالاً وحتى الضيقة جنوباً، وهي تكاد تكون مطابقة إلى حد كبير للحدود الحالية لمحلية الدبة في التقسيم الإداري الحالي للولاية لشمالية، وهذه الحدود تقريبية –في الغالب- لأن القول بوجود حدود واضحة للجغرافية السياسية في تلك الفترة قد يجافي الحقيقة لأن الإمتدادات السياسية للكيانات الموجودة في تلك الفترة كانت تعتمد على قوة ونفوذ الكيان نفسه، وإن كان من قول حول الأهمية الجغرافية للدُفَار، فإن هذا الموقع يعتبر مهماً وإستراتيجياً لأنه يمثل القلب النابض في منحنى النيل العظيم الذين يغير مجراه –جنوب شمال- ليمتد شرقاً وغرباً ليكون رابطاً بين الصحراء الشرقية وساحل البحر الأحمر من جهة وبين الصحراء الغربية ومناطق دارفور وكردفان من الجهة الأخرى، وبهذا الموقع مثلت منطقة الدُفّار وإمتداداتها بؤرة للتفاعلات الإجتماعية والثقافية والسياسية نتج عنها حضارات عظيمة قامت على ضفاف النيل على مر الحقب التاريخية (خريطة رقم (1)، صورة رقم (1)).

ويعرف الآن موقع الدُفّار (مكان الحصن) بجقرنارتي -يفسرها البعض بجزيرة الفئران كترجمة حرفية من اللغة النوبية الدنقلاوية -وكانت هذه الجزيرة مهمة

وقد صفها الرحالة الفرنسي لينان دوبلفون (يوم السبت 29 سبتمبر 1881م) بقوله: « وتوقفنا عند جزيرة جقرنارتي لشد الشراع، لأن النيل هنا شديد الإنعطاف بزاوية قدرها تسعون درجة بإتجاه الناحية الشمالية الشرقية. وكان من الصعب أن نجد الأهالي لأنهم فروا وتسللوا داخل الأشجار الشوكية واستعملوا جميع الحيّل في الهروب منا، وشاهدت على هذه الجزيرة أعمدة جرانيتة على قممها تيجان. وكان أحد هذه الأعمدة يقف منتصباً بينما تشاهد ستة أخرى واقفة على الأرض بالقرب من قواعدها. هذه الأعمدة بقايا لكنيسة ويلاحظ أنها لم تقطع ولم تكن متناسقة. أما التيجان فهي مربعة في الجزء العلوي مجموعة من المنحوتات أعتقد إنها الأسواء من حيث الصنع. ولا يوجد في الجوار أي جدران ولا مبنى. توقفنا عند حافة الجزيرة حيث شاهدنا مجموعة من التماسيح».[2] ويطلق العباس عبد العال على هذه الجزيرة اسم قيقر نارتي ويذكر أنها وردت عند لينان باسم قيانقا - آرتي وعند كايو باسم قويد نارتي[3]، وأظن أن الاسم الأقرب للصحة هو قيقر نارتي وهي كلمة دنقلاوية نوبية تعني الجزيرة المسورة بمبني من الطين أو الطوب اللبن، ويبدو أنها حرفت حالياً إلى جقرنارتي،لأن نطق حرف القاف في المقطع (قيق) في اللغة النوبية أقرب لنطق الجيم في العامية المصرية والياء أقرب لحرف المد لذا احتمال دمج الحرفين وارد، وربما قرية قنتي الحالية كانت امتداد لهذه الجزيرة حيث تشير الاكتشافات الآثرية الحديثة في قنتي الواقعة قبالة حصن الدُفّار - وجود أعمدة وكنيسة قريبة من وصف لينان لها، وربما كان بها في السابق سور فإستمدت اسم الجزيرة المسورة منها _ قيقرنارتي.



خريطة رقم (1) توضح منطقة الدفار
(لينان، مصدر سابق، ص228)



صورة رقم (1) توضح انعطاف النيل عند الدفار
(تصوير الباحث)

أما عن معنى ودلالات كلمة الدُفّار تقول رواية أن أصل كلمة دُفار يرجع إلى دفر ، يدفر، بمعنى دفع، وأهل المنطقة كانوا أهل خير وكرامّات ومُكرّمات يدفعون الشر ويجلبون الخير[4]، ويشير عون الشريف قاسم إلى أن المنطقة كانت مملوءة بقش الدفرة ولذلك سميت بها، وقيل إن الدُفار من وادي دفر الذي منحهم إياه آخر ملوك النوبة ويقصد هنا فرع من فروع البديرية عرفوا بقبائل الدفار[5]؛ ولكننا لا نعلم المقصود بآخر ملوك النوبة، وماهو اسمه، وفترة حكمه؟. وفي إفادة للهادي كشكش ذكر «حسب مقولة جدتي روقيه الملك أن الملوكية بدأت في الدُفار، والدٌفار تعني القصر العتيق، يعني أنها أنشئت قبل دنقلا العجوز، والدٌفار مقدسة على حسب رواية جدتي...»[6] هذه الإفادة مهمة لأنها تكشف لنا عن جانبين الأول: الأهمية الدينية للدُفار والتي ربما تعود لأزمان سابقة للمسيحية فقد أورد نعوم شقير: «... ويزعم

أهـل دنقلـة إنهـا بلـدة نمـرود بـن كنعـان ...»[7] أو في الفـترة المسـيحية لوجـود كنيسـة في الموقـع كـما أشـارت الدراسـات الآثاريـة ،وكذلـك يمكـن أن ينطبـق هـذا الوصـف عـلى الفـترة الإسـلامية لأنهـا كانـت تمثـل أحـد أهـم المراكـز الدينيـة التعليميـة – كـما سنشـير لاحقـاً - أمـا الجانـب الثـاني: هـو تفسـير اسـم الدُفـار بالقـصر العتيـق، ومعلـوم إن كلمـة دُف في اللغـة المحسـية النوبيـة تعنـى حصـن، ودب في الدنقلاويـة النوبيـة تعنـى قـصر أو حصـن وآر أو مـار تعنـى مـكان محـدد أو مركـز،_ مـع ملاحظـة ظاهـرة إقـلاب حـرف الميـم الى البـاء بـين اللغتـين _ ويُؤكـد هـذا المعنـى البينـة الأثريـة التـي الموجـودة وهـي حصـن الكبـير في موقـع الدُقـار.

مـن جانـب آخـر هنـاك معنـى مقـارب للمعنـى الـذي ناقشـناه، وهـو أن كلمـة دُفـار في اللغـة الأمهريـة (الحبشـية) تعنـى الرجـل القـوى والشـجاع أو القـوى [8]، ونحـن لا نسـتبعد هـذا التفسـير لوجـود إشـارة وردت في موسـوعة وكيبيديـا تقـول أن: «البديريـة ...مـن جزيـرة العـرب مـن المجموعـة الجعليـة ... تعلـم قسـم منهـم الزراعـة وأمتهنهـا .. أمـا القسـم الـذي تعلـم الزراعـة فقـد سـار بمحـاذاة النيـل حتـى وصـل عاصمـة مملكـة النوبـة دنقـلا العجـوز وسـاروا جنوبـاً إلى منطقـة تنجـسي (تنقـسي) التـي كانـت تسـكنها مجموعـات حبشـية كانـت تنـاوش ملـك النوبـة في فـترات متقطعـة ومتباعـدة حسـب الظـروف السـائدة مـن قـوة الملـك الحـروب التـي يخوضهـا أو قوتـه، اسـتطاعت هـذه المجموعـة أن تطـرد الأحبـاش وتسـكن المنطقـة...»[9].

هـذه الروايـة رغـم ضعـف مصدرهـا إلا أنهـا قـد تلقـى بظـلال مـن الحقيقـة حـول الوجـود الأكسـومي في سـودان وادي النيـل بعـد انهيـار مملكـة مـروى في القـرن الرابـع الميـلادي وأن هنالـك العديـد مـن الشـواهد التاريخيـة تشـير الي أن الأسرة الملكيـة لمملكـة المقـرة ربمـا ترجـع للأصـل الأكسـومى الحمـيرى [10].

1 – 2 موقع الدُفار الأثري:

أشـار نعـوم شـقير في كتابـه جغرافيـة وتاريـخ السـودان:»... الدُفـار عـن يمـين النيـل وتبعـد نحـو 9 أميـال عـن أبى دوم قشـابى ... وفي الدُفـار قلعـة قديمـة وكنيسـة مـن بقايـا نصـارى النوبـة [11] «، أمـا إفـادات ووصـف بعـض الرحالـة الأُوربيـين للدُفـار فقـد قـام العبـاس عبـد العـال حمـور بجمـع معظمهـا وترجمتهـا بطريقـة مرتبـة أغنتنـا_ قـد تكـون كافيـة_ نوردهـا فيـما يـلي: « الدُفـار: آخـر مقاطعـات دنقـلا وتبعـد أربعـة عـشر ميـلاً إلى الـشرق مـن أبكـور في الضفـة اليمنـى (الشـمالية) نفسـها، ولا يظهـر الاسـم في الخريطـة الحديثـة، لكـن الموقـع معلـم ببقايـا كنيسـة مسـجلة إلى الغـرب مبـاشرةً مـن جزيـرة قيقـر نـارتى (عنـد لينـان قيانقـا – آرتى، وعنـد كايـو قويدرنـارتى)، ولاحـظ لبسـيوس الكنيسـة وأطـلال قلعـة، ويصـف وادنجتـون الأخـيرة «مدينـة ذات موقـع جيـد دمرهـا الشـايقية « ووصفهـا كايـو قريـة مدمـرة تبعـد خمسـين خطـوة عـن النيـل عـلى ربـوة عاليـة وبنيـت كليـاً مـن

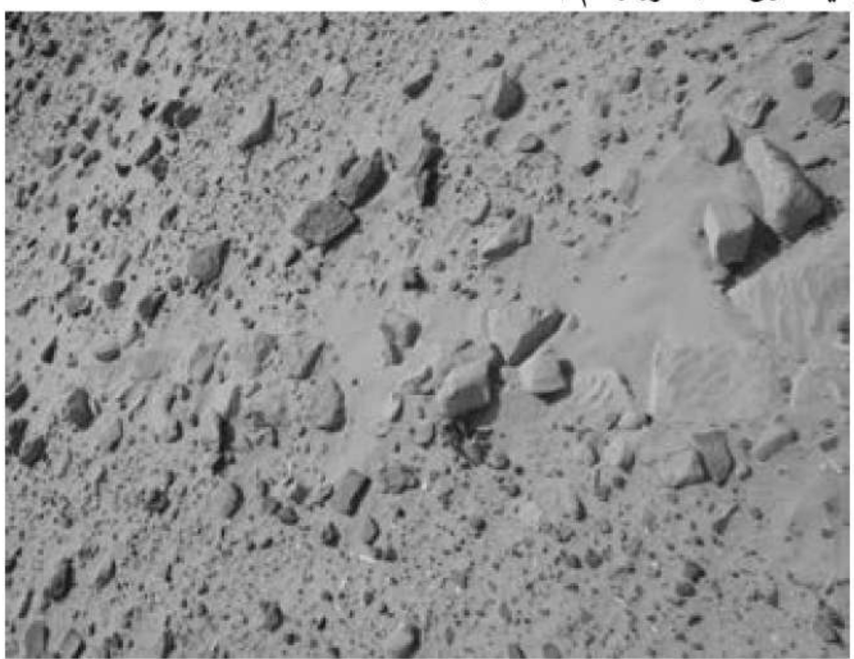
حجارة خشنة من الجبل، ومحاطة بجدار لازال باقياً منه بقايا أبراج مستديرة بها فرجات، وتوجد بداخلها بئر حفرت في صخر رملي وبنيت ،ويبلغ عمقها خمسة وخمسين قدماً، غالباً من صنع «الأقدمين «السابقين للمسلمين، يرقد على الأرض عمود من الجرانيت طوله ثلاثة أمتار زخرف تاجه (غير المكتمل بصليب إغريقي) قارن التاج من سوبا، لاشك إنها دُفار التي جاء وصفها عند لينان في يومياته (30سبتمر 1821) والتي رسم مخططاً رائعاً لها (لوحة رقم (1)) قال عنه أطلال قرية جميلة صغيرة على نمط أبكور... خارج المجمع كان هناك عمود ساقط من جرانيت باهت، بالقرب من شجرة دوم جميلة، (يظهر المخطط العمود خلف جذع نخلة الدوم). وبالقرب جبانة إسلامية مع حجارة عند الرأس والقدمين من المرمر، لكن بدون نقش، يتضح من المخطط أن القلعة كانت على تل منحدر من الشمالية بحدة إلى النيل في الجنوب، وفي قاع المنحدر شكلت جلاميد صخر ضخمة رصت في صف (بين الناس والمركب) خليجاً صغيراً، فيما وراء ذلك الجدار الغربي لساحة القلعة التي يبدو أنها احتفظت ببقايا أبراج مستطيلة، في الجانب الشرقي، إلى اليمين من نخلة الدوم مبنى منعزل ممتد بغير انتظام ويحتمل إنه كان دفاعات عن المدخل بوابة القلعة يمكن رؤيتها بين برج مستدير في الركن الشرقي ومبنى ذي فتحات في الغرب. في منتصف الجدار الشرقي للقلعة يوجد برج مستدير ضيق به فتحتان إحداهما فوق الأُخرى بين الجدار الشرقي والجزء شديد الانحدار للجانب الشرقي يوجد رصيف أو سطح ضيق يتجمع فيه المدافعون لصد هجوم على المدخل الرئيس. في البعد، غالباً في الأركان الثلاثة الأخرى . يوجد ما يمكن أن يكون أبراجً مثلثة [12].



لوحة رقم (1): حصن الدفار

(لينان، مصدر سابق، ص203)

ومن الدراسات الأثرية التي تمت لموقع الدُفار المسح الأثري لقطاع جنوب دنقلا (موسم 1998م) حيث تم وصف الموقع بأنه تعرض لدمار كبير خلال المائة وخمسون عاماً الماضية، وأن الحصن حقل كبير من الحطام؛ وهو عبارة عن ركام من الحجارة والطين والرمال لا شكل واضح له تمتد بطول 250 متر على ضفة النيل، ورغم ذلك مازال في المكان موقع كنيسة مع بعض قوائم أعمدة جرانيتية، وبقايا تاج جرانيتي في الجوار وتاج عمود على بعد مائة متر، ويضم الموقع بعض البيوت الحديثة [13]، أما دراسة الفخاريات في الموقع خلصت إلىإنه كان يمثل أحد مواقع الفترة المبكرة لمملكة المقرة وكانت مأهولة بالسكان في بداية العهد المسيحي وأواخره وفي العصر الإسلامي، وتقترح الدراسة أن سكان العهد الإسلامي تحركوا بكثافة نحو المواقع المسيحية الأولى[14] (صور رقم (2_3_4).



صورة رقم (2) توضح ملامح من موقع الدُفّار
(تصوير الباحث)



صورة رقم (3) توضح آنية فخارية ما زالت بصورة جيدة من الموقع
(تصوير الباحث)



صورة رقم (4) توضح عمود الجرانيت المذكور
(تصوير الباحث)

وفي مسح أثرى حديث لنفس الموقع (2014م) ورد: كان يوجد به آثار مسجد أولاد جابر الذين انتشرت خلاويهم في هذه المنطقة وفي الأراك ولكن حالياً لايوجد آثار لبقايا هذا المسجد، وعلى حسب ما ورد في الروايات الشفاهية لسكان المنطقة فإن مكان المسجد كان على النيل ويوجد في مكانه حالياً شجر دوم غزير ويقال إن قبابهم في الكاسنجر؛ وكذلك يوجد في الموقع بقايا منزل قديم به صبة من الحجر الرملي في أعلى البوابة يظهر عليها تاريخ قديم (1348م)، وهذا التاريخ قد يشير إلى بداية الاستيطان الإسلامي في موقع الدُفار[15]. وتم مسح آثري آخر لنفس الموقع عام (2017م) أشار إلى أن المسجد المذكور بزواياه الخمس ما زال آثاره باقية حتى الآن، وهو مبنى من الطوب اللبن والطين في اتجاه شمال جنوب بطول 13 متر وعرض 4 متر ومن المعالم المرتبطة بهذا المسجد - والمشهور بجامع أولاد جابر -، وذكرت في معظم المسوح الأثرية دومة أولاد جابر، وهي شجرة دوم كبيرة موجودة بالقرب من النيل، وتشير الروايات الشفاهية أن هذه الدومة نمت بماء وضوء الحيران (طلاب العلم) بالقرب من المسجد من ناحية الغرب قبالة النيل، وعليه فإن موقع الدومة هو مكان وضوء الحيران [16]، وقد شاهد الباحث أساسيات هذا المسجد، وشجرة الدوم، وهي ما زالت شامخة ومخضرة بالقرب من النيل تفصلها عنه بضع أمتار وشرقها مباشرة آثار المسجد ثم القلعة الأثرية[17] (صور رقم 5_6).



صورة رقم (5) توضح شجرة الدوم بالقرب من النيل
(تصوير الباحث)



صورة رقم (6) توضح أساسات مسجد أولاد جابر شرق شجرة الدوم
(تصوير الباحث)

ومن المواقع الإسلامية المهمة مدافن سلمان ود ضياب وتقع جنوب القلعة، وتوجد على كل قبر شواهد من الحجارة، وبالقرب من هذه المدافن توجد مدافن للأطفال ومقابر مسيحية، ومن المواقع الأخرى توجدة عدة بنايا - وهي مشهورة في الثقافة السودانية ومفردها بنية وهي عبارة عن غرفة صغيرة قصيرة وغير معروشة تبنى فوق قبر رجال الدين المؤثرين - وهذه البنايا متناثرة شمال غرب القلعة الآثرية والمساكن الحالية، وهي بنايا شيخ حرنان، شيخ، منور، وعثمان ود سكارا، وما تزال هذه البنايا بصورة جيدة، ما عدا واحدة بها جزء مهدم، وقد استخدم في بناء البنايا المذكورة الحجر الرملي بمداخل في وسط المبنى في اتجاه الشرق، ومن المعالم الإسلامية أيضاً قبة الشيخ أمبابكر وتقع جنوب القلعة وتبعد قليلاً عن المساكن، وتذكر الروايات أن هذه المواقع الإسلامية تعتبر مزارات دينية لسكان المنطقة وخاصة البنايا [18] ، عموماً فإن هذه المواقع تحتاج لوصف أكثر تفصيلاً ودراسة موسعة .

خاتمة:

من خلال هذا الفصل التمهيدي الذي قدمنا فيه ملامح عامة عن جغرافية منطقة الدُّفّار وعرض للمسوح الآثارية ولوصف الرحالة متخذين من موقع الدُفّار الأثري موضوعاً للدراسة،_ رغم تعدد المواقع الآثرية _ بإعتباره مركزا للكيان السياسي الذي قام بعد إضمحلال مملكة المقرة , ولأن ماينطبق على المركز ينطبق على باقي المناطق بصورة ربما تكون مماثلة، خلصنا الي أن منطقة الدفار تتميز بموقع جغرافي إستراتيجي ربط بين الجهات الأربعة مما أهلَها لتكون مركزا للتفاعل الحضاري والاجتماعي والثقافي . أما موقع الدفار الآثري فكشفت لنا الدراسة أنه كان مركز مهما من مراكز مملكة المقرة المسيحية وربما من أقدمها كما أوضحت لنا اللُّقي الأثرية أن هذا الموقع من المراكز الأولى التي تأثرت بالمد الإسلامي العربي .

حواشي وهوامش الفصل الأول :

(1) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، تقديم: فدوى عبد الرحمن على طه، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع،2007م)ص 102.

(2) لينان دوبلفون، يوميات رحلة إلى مروى في سنتي 1821 1822- م ترجمة: فضل الله إسماعيل على، (الخرطوم: جامعة السودان المفتوحة 2010م)

(3) العباس عبد العال حمور، دنقلا العجوز، عاصمة السودان في زمن الحضارة النوبية والمسيحية والإسلامية(الخرطوم،2008م)، ص 29-30.

(4) محمد الحسن عبد الصمد، «مملكة الدفار: التاريخ والآثار العلمية والثقافية والاجتماعية والدعوية»، محاضرة بتاريخ 2012/6/24م.

(5) عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج2 ،(الخرطوم 1996م)، ص865-866 .

(6) عينات من عمق تاريخ السودان، الحلقة الأولى (ملوك المقرة)، موقع السلالات العربية على صفحات الانترنت ..

(7) نعوم شقير، المرجع السابق، ص 102.

(8) نزار النور على سليمان باحث وأكاديمي، 65 عاماً، مقابلة، مكتبة وزارة التعليم العالي، الخرطوم بتاريخ 2016/10/31م

(9) موقع موسوعة وكيبيديا، شبكة الانترنت.

(10) عوض شبّا ، الأصل الأكسومي الحميري للأسرة الملكية في مملكة المقرة، (رؤية نقدية تحليلية)، مجلة القلزم العلمية ، ع 2 ، يونيو 2020م ، ص 62_76.

(11) نعوم شقير ، المرجع السابق ، ص 102.

(12) العباس عبد العال حمور ، المرجع السابق ، ص 29-30.

(13) B. Zwawzki، The southern Dongola Reach survey: the first season (1998)،Nubian Studies، Boston 1998، pp. 472 – 484.

(14) J. Philips: The southern Dongola Reach survey, The first season (1998): Areview if the Ceramices and other finds، Nubian Studies، Boston 1998، pp. 371 – 383.

(15) فاطمة على عبد الرحيم نصر، الآثار والتاريخ والتراث في منصور كتي، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس، مرتبة الشرف، قسم الآثار، كلية الآداب جامعة الخرطوم 2014، ص24-26.

(16) سوسن حسين حماد، آثار مملكة الدُفار، بحث تخرج لنيل مرتبة الشرف، بكالريوس، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2017م، ص 36.

(17) زيارة للباحث لمنطقة الدُفار ضمن الرحلة العلمية لجامعة أفريقيا العالمية، (2017م).

(18) سوسن حماد، المرجع السابق، ص 37-38.

الفصل الثاني

ملامح من تاريخ منطقة الدُفّار قبل الإسلام

الفصل الثاني
ملامح من تاريخ منطقة الدُفار قبل الإسلام

نحاول في هذا الفصل أن نرسم لوحة تاريخية لمنطقة الدُفّار قبل الفترة الإسلامية وذلك من وحيّ المعلومات الشحيحة عنها والمتضاربة أحياناً، واستصحبنا معنا أيضا الواقع الاجتماعي والثقافي لإكمال إطار هذه اللوحة حتى نتعرف على الأهمية التاريخية للدُفَار، وجذورها الحضارية الضاربة في القدم ومظاهر استمراريتها خلال هذه الفترات.

ومن الفرضيات التاريخية ذات الصلة بتاريخ الدُفّار التي يناقشها هذا الفصل موضوع جعل الدُفّار، وهذه الفرضية قد تثير نوعاً من اللغط والنقد لدى الكثيرين في أسوأ حالاتها، وقد تطرح تساؤلات جديدة حول تاريخ المنطقة وقراءتها من زوايا مختلفة – كما أشرنا في المقدمة – في أفضل حالاتها ،وفي كِلتا الحالتين نكون قد وفقنا في الخروج من تأطير تاريخ المنطقة في قالب واحد.

2 – 1 الأهمية التاريخية للدُفَار:

إن حديثنا عن تاريخ منطقة الدُفّار لا يتعدى تقديم بعض الملاحظات الأوليّة أو فرضيات تاريخية مبدئية قابلة للنقاش والتحليل، متى ما توفرت معلومات جديدة، وخاصة أن الحفريات الآثارية في بداياتها إلا أن مؤشراتها تدل على الجذور التاريخية الضاربة في القدم للمنطقة بعد إكتشاف البعثة البولندية الأثرية التابعة لمتحف بوزنان التي تعمل في منطقة العفاض لإحدى أقدم المستوطنات البشرية في العالم ويعود تاريخها إلى حوالي 70,000 سنة[1].

من جانب آخر فإن الصورة الذهنية المكونة – لدى الباحث – عن منطقة الدُفّار من خلال زيارته للمنطقة، أنها كانت من المراكز الدينية القديمة والمهمة في سودان وادي النيل – وما زال دورها الديني مستمراً – حيث تقول المرويّات الشفاهية أن منطقة الدُفّار كانت مسرحاً لأحداث سيدنا إبراهيم الخليل مع النمرود بن كنعان، كما أن سكان المنطقة – تحديداً جقرنارتي – ما زالوا عند اكتمال القمر في كل شهر يحتفلون بهذه المناسبة بتقديم بعض القرابين وإقامة وليمة عشاء مكونها الأساسي اللبن حيث يجتمع سكان المنطقة أو الأسرة لتناول هذه الوليمة، وهذه العادة أو الإحتفائية ليست محصورة فقط في الذين يسكنون المنطقة حالياً لأنها تمارس أيضاً عدد سكان مدينة الخرطوم الذين ترتبط جذورهم بمنطقة جقرنارتي حيث يجتمعون

دورياً لهـذه المناسـبة في أحـد منازلهـم بالتنسـيق مـع بعضهـم لإقامـة هـذه الشـعائر ذات الأبعـاد الدينيـة القديمـة المرتبطـة بعبـادة الكواكـب[2]. وكذلـك يزعـم البعـض أن أعظـم حضـارات الدنيـا وأقدمهـا قـد نشـأت في هـذه المنطقـة ويُعضّـدون هـذا الزعـم بأنـه وحتـى وقـت قريـب كان كبـار السـن مـن النسـاء يتحدثـن عـن يـوم الزينـة التـي ورد ذكـره في القـرآن الكريـم في إطـار الـصراع بـين الفرعـون والسـحرة[3] ونضيـف هنـا أن أحـد رجـال الديـن المشـهورين – في منطقـة تنقـسي – يلقـب بكندمـر وهـي كلمـة دنقلاويـة نوبيـة تعنـي قاطـع السـاق ، وكانـت المحاكـم الأهليـة – في فـترة الإداريـة الأهليـة – تسـتخدم اسـم كندمـر كصيغـة للقسـم، ويربـط البعـض بـين هـذا اللقـب وبـين سـحرة فرعـون الذيـن آمنـوا بـرب مـوسى فعاقبهـم فرعـون بتقطيـع أيديهـم وأرجلهـم وصلبهـم، وعمومـاً فـإن المـوروث الثقـافي في منطقـة الدراسـة يذخـر بالكثـير مـن الروايـات المرتبطـة بالديانـات السـماوية والمعتقـدات الوثنيـة القديمـة – ليـس هنـا مـكان حصرهـا – تعطـي في مجملهـا بعـداً دينيـاً عظيـماً للمنطقـة.

هـذا وقـد لعبـت منطقـة الدُفّـار دوراً مهـماً في تاريـخ السـودان الوسـيط (500—1500م) في فترتيهـا المبكـرة – ونعنـي بهـا بدايـات تكويـن الممالـك النوبيـة المسـيحية -، والمتأخـرة – ونعنـى بهـا فـترة تفـكك وإضمحـلال هـذه الممالـك- وسـنناقش ملامـح هـذا الـدور مـن خـلال فرضيـة تاريخيـة بعنـوان جعـل الدُفّـار.

2 –2 جعل الدُفّار:

ورد مسـمى جعـل الدُفّـار في المرويّـات الشـفاهية ، وكذلـك وردت عبـارة «ملـوك الدفـار» ، و«ضنقلـة الدفـار» و» جعـل الدفـار» في كتـاب الطبقـات لابـن ضيـف اللـه وفي مخطـوط خلاصـة الإقتبـاس لمؤلفـه أحمـد بـن أسـماعيل الأزهـري ؛ وتحمـل عبـارة «جعـل الدفـار» فى هـذا المخطـوط مضامـين سـيادية وحـق في الحكـم والملـك لهـذه المجموعـة – أحفـاد الملـك موسي(مسـوا)الكبير-تميزهـم عـن البديريـة (22) (راجـع الفصـل الثـاني)، فـما أصـل هـذه الكلمـة ؟، ومـا هـي دلالاتهـا التاريخيـة والاجتماعيـة؟ المشـهور لـدى الكتـاب السـودانيين وخاصـة المهتمـين بالأنسـاب أن الجعليـين أهـم مـن أكـبر المجموعـات العربيـة في السـودان الشـمالي والتـي تنتسـب للعبـاس بـن عبـد المطلـب، ولكـن هـذا النسـب وجـد كثـيراً مـن النقـد مـن عـدد كبـير مـن الباحثـين – سـنناقش هـذا الموضـوع عنـد حديثنـا عـن أصـول البديريـة – ولكننـا نكتفـي هنـا بمـا كتبـه أشـهر الكتـاب الذيـن أهتمـوا بتاريـخ العـرب في السـودان وقبائلـه وهـو ماكمايـل (H. A. Mac Micheal) حيـث يقـول عـن الجعليـين: « هـم مـن ضمـن المجموعـات الرئيسـية المعروفـة التـي ينتمـي لهـا العـرب في

السودان، بالأخص لدى النسّابة من الأهالي، والأكثر عدداً وإنتشاراً، وفي نفس الوقت هم أكثر القبائل إنفراطاً في حبل عقدها. السمة المميزة لتلك المجموعات المصنّفة تحت هذا المسمى والتي لا يمكن أن تسمى قبيلة، هو إدعاؤهم التحّدر من العباس عم النبي (ص)، حتى أن كلمة جعلي أصبحت بمدلولها الشامل مرادفة لـ (العباسي) وأستعارتها مختلف العوائل من الحبشة حتى بحيرة تشاد حيث يعتبرون أنفسهم أو على الأقل يتظاهرون كما لو كان العباس جد لهم لا يتفقد إدعاء الجعليين لهذا النسب للدليل فقط بل أن المصدر الأصلي لأسمهم - كما أرتضاه حاملوه - يشير بوجه كافٍ لخوائه ورواج الإعجاب به.

يقال إن إبراهيم حفيد العباس، فرّج كربة الناس في زمن المجاعة بكرمه وأحسانه، لذلك أطلق عليه – من أفادوا من إحسانه- اسم جعل، لأنه كان يتقبّلهم بقوله (جعلناكم) وهكذا تحلّق حوله الكثير من الأتباع.

تدعى مجموعة القبائل الجعلية بشكل تلقائي التحدّر نسباً من إبراهيم السابق ذكره، إلا إن الواضح إن الرواية لا تعدو – حتى هذا القدر – من أن تكون مجرد خيال، بحيث لا يتجاوز واقعة انطواء هذا التجمّع على أخلاط من قبائل شتى خلف رجل واحد يدعى الانتساب لبنى العباس.

إن عبارة (جعليين) بمفهومها النسبي المبهم لا تزال منطبقة على معظم القبائل النوبية في الشمال مثل الجوابرة والبديرية ثم على الشايقية أيضاً والبطاحين والجوامعة وبديرية كردفان وكثيرين غيرهم. ويتغلغل الجنس الجعلي جنوباً وغرباً، أوجد هذا الواقع مبرراً للهمج في سنار للإدعاء بأن أجدادهم من الجعليين الذين اتخذوا زوجات سوداوات من جبال البرن. كما نتج عن هذا التغلغل إدعاءات بالقرابة الحميمة بين الجعليين وحكام تقلي ودارفور وودّاي وبرنو...»[4].

إن هذا التشكيك الذي طرحه ماكمايكل حول مدلول مسمّى جعليين يجعلنا نبحث عن مصطلح جعل خارج إطار التقسيم القبلي العربي ولعل من أولى الإشارات لجعل كمصطلح يحمل مضمون لكيان سياسي ورد في إطار الصراع بين العنج الذين سيطروا على الأوضاع السياسية في مملكة علوة وتمركزوا في العاصمة سوبا وامتد نفوذهم شمالاً حتى الشلال الرابع، وذلك في القرن الرابع عشر الميلادي[5]، وتصدت لهم مجموعة عرفت بالجعل فقد أورد صاحب مخطوطة النبر: « ... أتت عليهم قبيلة جعل .. وتغلبوا على ملك العنج بالظفر .. وطردوهم من تلك الديار .. وأتتهم الفونج واستولت على جميع البلاد .. وأذعنت لهم القبائل بالطاعة. وصارت جعل عندهم

من جملة الرعية ولكن لهم المزية على غيرهم فولوهم فيما هم فيه من البلاد ...»[6]، وكذلك أورد الرحالة روبيني في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي أفادة مهمة وهي: «مملكة جعل والتي تتبع لمملكة سوبا وهي تحت حكم عمارة ...»[7]. رغم أن هذه الإفادة فيها الكثير من الغموض إلا أنها تلقى ضوءاً خافتاً على وجود مملكة باسم جعل، ولكن، من هم هؤلاء الجعل أو أين مقر مملكتهم؟ لا نملك معلومات وافية للإجابة على هذين السؤالين ولكننا نحاول أن نربط بعض الإفادات ببعضها علنا نفلح في أن نقدم تصوراً مبدئياً قابلاً للنقاش لفترة مهمة وغامضة من تاريخ السودان وهي فترة التحولات السياسية والاجتماعية التي تلت تدهور وإنهيار الممالك النوبية المسيحية، ومدخلنا هو معنى ودلالات اسم جعل _ وليس الجعليين _، ونعتقد أن أصل هذا الاسم نوبي بإعتبار أن اللغة السائدة في تلك الفترة وتلك المنطقة كانت هي اللغة الدنقلاوية النوبية وكلمة جال (Gal) - ونطق حرف الألف أقرب إلى العين في اللغة الدنقلاوية، وتعني الثائر أو الذي يرفع صوته عالياً من الغضب، وربما يكون هذا التعريف متسقاً مع الأحداث السياسية حيث واجه العنج رفضاً شعبياً تبلور في الثورة ضدهم، أما من هم هؤلاء الجعل فقد برزت عدة آراء حول هذا الموضوع لكن مجمل هذه الآراء تشير إلى أن أصولهم نوبية ويقال أنهم رقيق النوبة[8]، وفي التراث الشعبي لقبيلة المناصير بولاية نهر النيل - كما أفادت فاطمة أحمد على _أن من أشهر حكامهم الملك السوكري وهو من الجعل، وقتله آل قمر بمساعدة الفونج في ثورة المناصير الشهيرة ضد حكم أسرة السواكرة، التي ترجع أصولها إلى رقيق النوبة، وفي رواية أخرى أن السواكرة ينتسبون للجعل وهم نوبة الشمال(9)، من خلال هذه الرواية يتضح لنا أن الذاكرة الشعبية ما زالت حُبلى بالكثير من المرويات عن الجعل والملاحظ أن معظم ملوك وزعماء خلفاء مملكة المقرة نجد فى سلسلة نسبهم اسم أو لقب جعل (جعلى)، وتستوقفني في هذه الروايات أيضا اسم السواكرة للربط بينها واسم جعل لأنها قد تلقى بعض الضؤ حول هذا الموضوع_ اسم جعل_، فقد ورد هذا الاسم أو اللقب في بلاط مملكة المقرة مثلاً جاء في سيرة ملك دنقلا سمامون (1288م – 1293م): الذي كان يحاول الوصول إلى عرش المملكة بعد أن عُزل .. واستمال إليه السواكرة ...»[10]، مما يشير إلى أن السواكرة تمثل طبقة مهمة في البلاط الملكي، وهذه الإشارة قد تدعم الروايات التي تقول بالأصل النوبي للجعل،ولعله من الضروري أن نورد هنا ماذكره أحمد الياس عن السواكرة ودورهم في فترة السلطنة السنارية (1504_1821م) « أما في مملكة سنار فقد كان الأمراء أيضا يعزلون في قصر خاص بهم

في العاصمة ومعهم أبناء حكام الولايات الذين سيرثون حكم ولايات آبائهم .وكانو يتلقون التعليم والتدريب العسكري خلال إقامتهم ، وكان المشرفون عليهم يعرفون بالسواكرة وعلى رأسهم مقدم السواكرة ،ومما يدل على تواصل المؤسسات الإدارية السنارية بالفترة السابقة لدولتهم أن الأمراء في دولة (مملكة) مقرة التى كان عاصمتها في دنقلة كانوا يعرفون بالسواكرة ، ومما يؤكد تواصل الماضي بالحاضر إن اسم السواكرة لازال يعيش حتى الآن . واسم بعض الأسر وربما قبيلة في الشمالية وربما فى مناطق آخرى في السودان ...» [11] ، نلتقط هذه المعلومات التى تتحدث عن العلاقة بين الجعل والسواكرة سادة المناصير ونربطها بأخرى ذات صلة بقبيلة المناصير حيث يقول ماكمايكل أن هناك هجرة لمجموعة من المناصير تمت قبل قرنين من الزمان إلى دارفور واستقروا حول سانية كرو وتولو وجبل حلة وتسمّوا باسم مناصرة[12]، ويورد في موقع آخر ضمن حديثه عن فروع مجموعة الغديات أن المقابضة إحدى فروعها وأن أصلهم من البديرية، ويضيف إن اسم مقابضة لا يتضمن معنى محدداً، ويظهر في النسبة كقبيلة جعلية ذات قربى بالمناصرة[13]، ونجد أن المقابضة أو المقابدة اسم لمجموعة سكانية تقطن منطقة الدُفّار وتعتبر من سكان الدُفّار الأصليين – وهذا الموضوع قد أفردنا له الفصل الثالث هذه الدراسة -، ونخلص من الإشارات السابقة إلى أنه من الراجح _عند الكاتب _ أن مسمى جعل تطلق على مجموعة سكانية واسعة الإنتشار ترجع في أصولها للنوبيين، وأن لهم صلة بمنطقة الدُفّار، ولكن من الصعب تحديد إطار جغرافي للجعل في الإقليم النيلي، فقد أورد روبيني أن مملكة الجعل تقع شمال سوبا بمسيرة عشرة أيام، ويمكن تحديد مسافة تقديرية لمسيرة اليوم بواقع 30 كلم في المتوسط ولكننا لا ندري ماذا يعني تحديداً بقوله هل يعني مركز مملكة الجعل أم بداية المملكة، من جانب آخر فقد ورد في الأدب الشعبي لإحدى العائلات النوبية – من منطقة المقاودة – ذات الصلة بمنطقة الدُفّار بيتاً شعرياً – فيما يعرف بأغنية السيرة ما يشير إلى أن مصطلح جعل أطلق للدلالة على مجموعات منهم المقابدة (المقاودة) الشايقية ، وربما هي المجموعات التي ثارت ضد العنج ، وأن هذه المجموعات لها صلة بمنطقة الدُفّار (راجع الفصل الرابع)، وهنا يطرأ تساؤل مهم لماذا يتردد اسم الدُفّار كمكان مع اسم الجعل؟ وهل الدُفّار كان مركز لهؤلاء الجعل (الثوار)؟ وما هي أهمية هذه المنطقة حتى تتبوأ هذه المكانة العظيمة والمهمة عند الثوار (الجعل)؟.

من المعلوم من خلال استعراضنا للدراسات الآثارية التي أجريت في موقع الدُفّار أنها كانت إحدى المراكز المهمة لمكة المقرة المسيحية، وهناك روايات تذهب

للقول بأن مركز الدُفّار أقدم من مركز دنقلا (العجوز)، وأن بداية تكوين المملكة بدأت من الدُفّار (أشرنا إليها)، وهذا يقودنا إلى الحديث الكيفية التى قامت بها مملكة المقرة وعن سبب إتخاذها لدنقلا (العجوز) _ القريبة من الدفار_ عاصمة للمملكة ، وأين كان مركز تجمع الأسرة الملكية والمجموعة التي نجحت في إقامة هذه المملكة[32]؟ ونضيف هنا تساؤلا آخرا قد يصب في خانة الإجابة، هل يمكننا القول مبدئياً بأن مركز التجمع الأول كان في الدُفّار من خلال المرويّات الشفاهية ودلالات اسم الدُفّار؟ ثم كان مركزاً لتجمع الثوار - جعل الدُفّار- لاستعادة ملك آبائهم وأجدادهم لتكون الدُفّار بأبعادها التاريخية والدينية مقراً لبداية المملكة وملهما لانطلاقة الثورة الثانية لإحياءها.

خاتمة:

قلنا أن هذا الفصل عبارة طرح فرضية تاريخية قابلة للنقاش ، وأشرنا فيه للأهمية التاريخية لمنطقة الدفار عبر الحقب التاريخية المختلفة التي مرت بها ، ويبدو أن المنطقة كانت إحدى المراكز الدينية القديمة والمهمة، ثم تناولنا الدور المهم الذي لعبته المنطقة في تاريخ السودان الوسيط في فترة قيام وتكوين مملكة المقرة وعاصمتها دنقلا (العجوز) في القرن السادس الميلاد، وانها ساهمت بفعالية في قيام هذه المملكة، وكذلك ربما كان لها دور في محاولة إحيائها وإستعادة دورها القديم بعد فترة تدهور هذه المملكة مع بدايات القرن الرابع عشر الميلادي وقدمنا لتوضيح هذا الدور أطروحة عن ثوار الدُفّار الذين عرفوا بجعل الدُفّار، ويمكن أن تتضح الصورة أكثر حول هذا الموضوع عند قراءتنا للفصل الرابع الذي يتحدث عن المكوّنات الاجتماعية والتحركات السكانية في المنطقة.

حواشي وهوامش الفصل الثاني:

(9) الأمين عثمان شعيب الحاج، « لمحة تاريخية عن مملكة الدُفار الإسلامية»، جامعة إفريقيا العالمية، 2017م، ص 4.

(2) حسن بابكر عبد الحفيظ، مقابلة بمنزله بالعمارات، الخرطوم، بروفيسير في علم النفس، مهتم بتاريخ منطقة الدُفار، 80 عام تقريباً، بتاريخ 2017/5/7م.

(3) عبد الصمد ، مرجع سابق ، ص 2.

(4) أحمد ابراهيم أبوشوك ،العلماء والصالحون في الدفار:الكسب والعطاء ، الكسب ، مقال منشور في الانترنت ،في صفحته في الفيس بوك.

(5) هارولد ، أ. مكمايكل ، تاريخ العرب في السودان (بما فيهم الشعوب التي سبقتهم وسكان دارفور)، الكتاب الأول، تعريب: سيد محمد على ديدان، ط1، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي ، 2012م)، ص 237-238.

(6) لمزيد من التفاصيل راجع: أحمد المعتصم الشيخ، مملكة الأبواب المسيحية وزمن العنج، (القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2002م).

(7) أحمد بن المشهور بالنبر، كراس النسب المخطوط محفوظ ضمن وثائق العباسية، دار الوثائق القومية الخرطوم، نقلاً عن: أحمد المعتصم الشيخ، «حاشية ومستخلص من زيارة روبيني للسودان» ، مقال غير منشور.

(8) س. هيللسون ، «داؤود روبيني من الأوائل لسنار»، السودان في رسائل ومدونات،ع15،1933م،ترجمة:أحمد المعتصم الشيخ،مقال غير منشور،ص3.

(9) فاطمة أحمد على، مقابلة بمنزلها، 60 عام تقريباً، باحثة في التأريخ والتراث، دكتوراه في تاريخ السودان الحديث، الحاج يوسف، الخرطوم، بتاريخ 2017/5/3م.

(10) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، (الخرطوم: دار المصورات للنشر، 2011م)، ص 158.

(11) أحمد الياس ، موجز تاريخ وتراث المناطق المجاورة لأعالي النيل الأزرق قبل قيام مملكة الفونج، منقول من موقع سودانيل من الانترنت (sudanile.com/index.ph) .

(12) ماكمايكل ، المرجع السابق، ص 252.

(13) نفس المرجع ، ص 248.

الفصل الثالث

البديرية وإمارة الدفار الإسلامية

الفصل الثالث
البديرية وإمارة الدفار الإسلامية

ارتبط تاريخ منطقة الدُفّار في المرويّات السودانية بمجموعة البديرية دون المجموعات السكانية الأخرى التي تقطن المنطقة؛ وهذا أحد أسباب تركيز الدراسة على هذه المجموعة وذلك بالإشارة في هذا الفصل إلى أصلهم الجغرافي ونسبهم الاجتماعي كمحور أول، ومعلوم أن موضوع الأنساب من أكثر الموضوعات تعقيداً في الدراسات السودانية، وقد تناولنا جانباً من أصول البديرية في كتابنا الأول - خلفاء مملكة المقرة - وسنقوم بإقتباسه هنا مع إضافة بعض الملاحظات الجديدة.

أما المحور الثاني: يتناول ملامح من التاريخ السياسي للبديرية، ووجد هذا الموضوع حضوراً كبيراً في الفترة الأخيرة لدى الباحثين والمهتمين، وقدمت العديد من الأطروحات الجديدة حول تاريخ دخول البديرية المنطقة، وتاريخ تأسيس ما يعرف بمملكة الدفار، وسنحاول في هذا الفصل مناقشة هذه الآراء ومصادرها لنخرج برؤية جديدة عن تاريخ هذه الفترة من خلال تركيزنا على هذه المجموعة وتاريخ إمارة الدُفّار الإسلامية وبيان مظاهر الاستمرارية الحضارية والثقافية وأبرز تحولاتها في إطار أطروحتنا حول خلفاء لمملكة المقرة .

3-1 ملاحظات حول أصول البديرية:

شهدت منطقة الدُفّار - والسودان النيلي عموماً - خلال فتراتها التاريخية المتعاقبة هجرات بشرية عديدة غيّرت إلى حدٍ ما من تركيبتها العرّقية والاجتماعية والثقافية، ومن أهمها الهجرات النوبية التي جاءت من الغرب ومن الجنوب الغربي والتي بدأت بصورة تدريجية منذ الفترة السابقة للقرن الثالث قبل الميلاد وتزايدت في القرون الأولى للميلاد واستقرت في المنطقة، وخاصة بعد سقوط مملكة مروي في القرن الرابع الميلادي، وبعد قيام مملكة المقرة وعاصمتها دنقلا (العجوز) المقرة في القرن السادس الميلادي، لم تتوقف المؤثرات العرقية والدينية الوافدة إلى المنطقة من حين لآخر حيث تعرضت المنطقة لتسرب الجماعات العربية المسلمة من مصر والتي حملت معها الثقافة الإسلامية العربية وتشكلت لاحقاً ما يُعرف بالمجموعات النوبية ومنهم الدناقلة[1]، المجاورون للبديرية والمتداخلون معهم ثقافياً وإجتماعياً حتى تمازجوا وأصبح من الصعب التفريق بينهما خاصة في المناطق الجنوبية.

أما البديرية وهم من المجموعات الأكثر غموضاً من الناحية السلالية رغم دورهم الرائد في التعليم الديني في السودان ولهم موطنان، الأول في وادي النيل والثاني في كردفان[2]، وينتسبون إلى بدير بن سمرة بن سُرار، ويصنفون ضمن المجموعة الجعلية العباسية، وقد وجد هذا التصنيف رواجاً كبيراً عند بعض الباحثين وممن ينتمون لهذه المجموعة وأسسوا ما يعرف برابطة الأشراف العباسيون الهاشميون في السودان حديثا[3]، إلا أن ظاهرة تبني أنساب عربية ترجع إلى الهاشميين (بيت النبوة) أو أسماء إسلامية مشهورة ترجع إلى العهد الإسلامي الأول واجهت انتقادات كبيرة من عدد من الباحثين حيث يقول سبنسر تريمنجهام (Trimngham)[4]: «إن مصطلح عرب الذي يستخدم في الوقت الحاضر في السودان كمصطلح إثني هو مصطلح غامض وأن العديد من القبائل النوبية والبجة الذين قمنا بدراستهم بالإضافة إلى بعض القبائل الزنجية الخالصة مثل الفونج تدعى كلها السلالة العربية، ولا يمكن الوثوق في شجرة الأنساب بالمرة لأنها زائفة بشكل واضح، لذا فإن عربي اليوم قد يكون إفريقياً صرفاً بلا أثر للأصل العربي»، وكذلك أشار ل. كورباتشيك [5] إلى أن المصادر التي تتوافر لدينا لدراسة تاريخية للحركات الخاصة، التي أدت إلى تكوين سكان النوبة الشمالية ليس قابلة للاستخدام إلا بتحفظ كبير فهي مكونة أساساً من أساطير وروايات الأنساب لم تتخذ شكلها الراهن إلا مؤخراً، وقد تم الحفاظ على هذه الأنساب عن طريق النقل الشفوي أو في شكل مكتوب في بعض الأحيان بإعتبارها ممتلكات ذات قيمة كبرى، ويمكن إرجاع أصل بعض هذه الأنساب إلى فترات بعيدة للغاية من الماضي، إن المؤلف الأكثر شهرة لعدد كبير من الأنساب هو السمرقندي، وهو شخصية اسطورية نوعاً ما عاش في القرن السادس عشر للميلاد، وجمع كتاب الأنساب المتعلقة بالفونج، وكان هذا الكتاب يهدف إلى إقناع السلطان العثماني بشرعية وصحة النسب والتسلسل العربي الإسلامي للنوبيين وإقناعه بعدم وضع خطط معادية ضده، وقد جعل هذا الهدف نفسه كثيراً من الأنساب موضع شك ولا يستحق الثقة كثيراً.

ويرجع الباحثان أوفاهي (S.R.O,Fahey) وسبولدينق [6](J. Spaulding) تبني السكان للأنساب العربية لأسباب إقتصادية وإجتماعية، ويعتقدان بأنه منذ القرن الثامن عشر الميلادي نمت شرائح تجارية جديدة متحالفة مع قيادات الصوفية وفئات من خريجي الأزهر الشريف وصار هذا التحالف نواة لطبقة وسطى سرعان ما خلقت لنفسها قاعدة سياسية وإقتصادية وآيدلوجية، وحتى تعزز هذه الطبقة وضعها في المجتمع تبنت أنساباً عربية وإسلامية معروفة وبارزة من صدر الإسلام وأخذت أشجار

النسب المزعومة تظهر تدريجياً وصارت سمة اجتماعية بارزة.

ويضيف سمير محمد نقد [7] سبباً آخر لهذه الظاهرة وهو أن الظروف السياسية والإجتماعية في السودان في تلك الفترة كانت تجعل النسب الشريف إلى أهل البيت أو الشخصيات المؤثرة في بدايات الدعوة الإسلامية تعطي نوع من الحماية لأرواح وأموال السكان من هجمات القبائل فضلاً عن المكانة الدينية والاجتماعية التي يتمتعون بها بإدعائهم هذا النسب.

وبعد أن بيّنا الأسباب الموضوعية لظاهرة إدعاء الأنساب العربية فإننا نرجح رأي ك. باربر [8] الذي يقول: « إن البديرية ينتمون إلى السلالة النوبية رغم إدعائهم للنسب العربي»، وخاصة إن البديرية إرتبطوا بصورة كبيرة بالأحداث السياسية والإجتماعية والدينية بدنقلا عاصمة مملكة المقرة[9]، كما أنهم يتشابهون في تكوينهم الجسدي وألوانهم مع سكان المناطق الشمالية (الدناقلة) وفي عاداتهم وتقاليديهم، فضلاً عن أن كبار السن من البديرية كانوا يتحدثون اللغة النوبية الدنقلاوية حتى وقت قريب، وكذلك تشير هذا الدراسة التي قام بها عبد المنعم حسن الملك عن دور قبيلة بني ربيعة في تاريخ السودان وذكر أن البديرية ينتمون إلى الكنوز [10]، وهم من المجموعات العربية التي تصاهرت مع ملوك دنقلا وتتوبت تدريجياً، وهم ينتسبون إلى عرب بني ربيعة وتمكنّوا من الوصول إلى سدة الحكم في دنقلا عام 1317م [11] وبهذا يكون البديرية قد جمعوا بين النسب النوبي والعربي.

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض الملاحظات التي ربما تكون لها صلة بأصول البديرية منها أن قبائل الميري في جبال النوبة يطلقون على البديرية اسم بيدي أوري (Bidy Ory)، وتعني في اللغة العربية ملوك الماء، وهنالك رسم منحوت على جبل حرازة في شكل تمثال لرجل يعرف أيضاً عند الكواليب باسم بيدي كوبي (Bidy Koby)، وتعني في اللغة العربية ملك الماء[12].

2-3 إمارة الدُفّار الإسلامية:

اشتهر في الكثير من المدوّنات السودانية أن قيام أولى الكيانات السياسية الإسلامية كانت في الدُفّار تحت مُسمّى مملكة البديرية في الدُفّار، ونحن نستلهم هذا الاسم - مملكة البديرية في الدُفّار - مع بعض التغيير ليكون عنوان هذا المبحث - إمارة الدُفّار الإسلامية - لنناقش من خلاله أهم المصادر التي تناولت هذا الموضوع وهو كتاب « الصحايح التاريخية من العهود الدفارية» للإمام النشري، والمعلومات المفقودة عن الكتاب ومؤلفه حتى الآن - وقد بذلت جهداً مقدراً للحصول على هذا الكتاب وما زال البحث جارياً عنه - وسيكون إعتمادنا على ما نقله مختصراً السيد محمد بن على العجيمي في كتابه المولد فقد أورد فيه فصلاً عن عدد خلفائهم وبيان أدوارهم بدفار دنقلا بالسودان نقتبسه هنا: « إن أول من بويع بالخلافة فيهم وهو السيد أحمد الحجازي سنة أثنين وسبعين بعد المائة ، وهو ابن السيد إبراهيم جعل ... ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة محله ابنه السيد سراقة، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة محله ابنه سريان، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة محله ابنه السيد ابن أبي الديس ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجادته ابنه السيد كردم الذي صح أنه ملك عموم السودان من غير مشاكل، وقد كانت ولايته له هو وابنه السيد سرار مائة وأربعين سنة. وهو رضى الله عنه الأب الذي تفرع منه آباؤنا العباسيين... ثم بويع من بعده (سرار) والي عهده وخليفة سجادته ابنه السيد سامر ، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجادته ابنه السيد بدير، فكان له أربعة أولاد ، ثلاثة منهم ذراريهم مفرقين بجهات الصعيد وخلافه، إلا أنّ ابنه الأصغر، السيد محمد دهمش ، فإنّ ذراريه ببحر دنقلا. ثم بويع هو، أي ابنه السيد محمد دهمش، من بعد أبيه، وكان والي عهده وخليفة سجادته. وقد سمّي بهذا الاسم لقباً لأنه كان رضيّ الله تعالى عنه ذو جذبة رحمانية، ومن شدة سكره يتراءى كأنه يتلاشي في حركاته... أنه تزوج ببنت السيد غلام الله الحسينى وولد منها والي عهده وخليفة سجادته الذي بويع من بعده وهو ابنه السيد صلاح الشهير بسالا. وهي كلمة رطانة معناها صلاح، كان رضى الله عنه من الأولياء الكبار ، وقبره في القبة التي بقرب دنقلة يزار، وهو جد جميع السادة الدهمشية الذين بدنقلة والنازح القليل منهم إلى غيرها. قال صاحب اللاميّة:

ذو القبــــــة الحمرا بدنقلة تـــــــرى   فـرد الجلالـة مــــن حــــــوى لهواطــل

جــد الدهامشـــــة التـي هـــي أمهـم   بنـت غـلام اللـه الحسـيني بـلا قـلى

فحـكي بهـا تاريـــــــــخ دفـــار الـذي   في سـيرة الأنسـاب أحكـم قائـــــــل

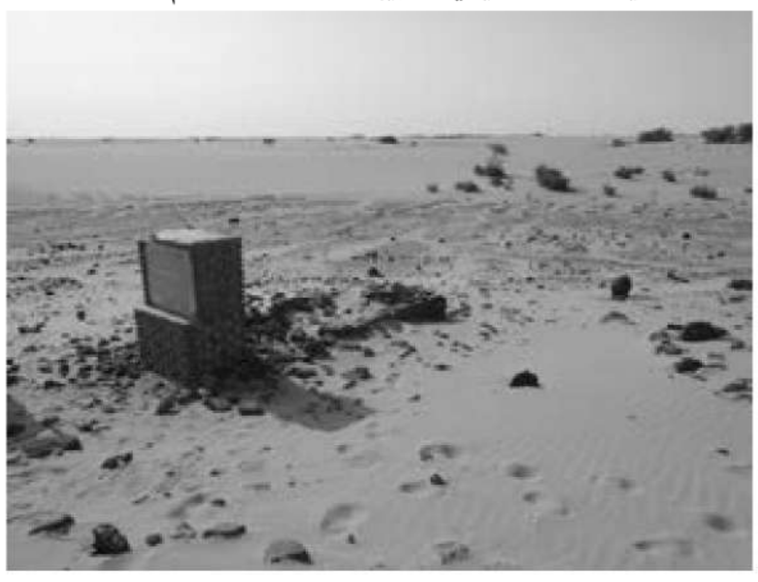
ثـم بويـع مـن بعـده والي عهـده وخليفـة سـجادته ابنـه السـيد محمـد، ثـم بويـع مـن بويـع ممـن بعـده خليفـة سـجادته ووالي عهـده ابنـه الملـك مـوسى الأكـبر، ثـم بويـع مـن بعـده والي عهـده وخليفـة سـجادته ابنـه السـيد صـلاح، ثـم بويـع مـن بعـده والي عهـده وخليفـة سـجادته ابنـه السـيد أربـاب نـصر اللـه، ثـم بويـع مـن بعـده والي عهـده وخليفـة سـجادته ابنـه السـيد أبيـض، ثـم بويـع مـن بعـده والي عهـده وخليفـة سـجادته ابنـه السـيد حـمّاد، ثـم بويـع مـن بعـده والي عهـده وخليفـة سـجادته ابنـه السـيد محمـد الأمـين ، ثـم بويـع مـن بعـده والي عهـده وخليفـة سـجادته ابنـه الملـك مـوسى الأصغـر، وعـلى المعتمـد أنـه كان لـه مـن الذريـة خمسـة أولاد السـيد عايـد ، والسـيد شـاطر، والسـيد سـعد، والسـيد أسـد، والسـيد حـمّاد ، الملقّـب بضريـس، فـكان أكـبر أولاده ونائبـه في مملكتـه. فلقـب بهـذا الاسـم لأنـه كان رضى اللـه تعـالى عنـه ذو شـجاعة وكـرم ظاهـرة وصـلاح باهـر فاسـم التصغـير لـه بـه لصغـر سـنه كـما يقـال في الكبـير ضرس، وفي أيامـه تلاشـت دولتهـم العباسـية رحمهـا اللـه تعـالى. وذلـك في القـرن التاسـع، ومـا بقـى إلا علـم نحاسـها، ولم يـزل الآن بالقـرن الرابـع بعـد الألـف في بيـت ابنـه حـمّاد، الملقـب بضريـس. وهـي موجـودة الآن عنـد ذراريـه وقـد كانـت المملكـة قائمـة»[13].

هـذه هـي الروايـة الرئيسـة التـي أخـذ منهـا معظـم الكتـاب الذيـن تناولـوا التاريـخ السـياسي للبديريـة في الدُفّـار لـذا كان مـن الـضروري إيرادهـا - كـما وضحنـا - لمناقشـتها وتحليلهـا مـن خـلال عـدة محـاور كمداخـل لدراسـة تاريـخ هـذه الفـترة.

أولاً : تقـول الروايـة أن السـيد أحمـد الحجـازي نجـح في تأسـيس دولـة عباسـية في الدفـار عـام (172هـ) أي في النصـف الأول مـن القـرن التاسـع الميـلادي في الدُفّـار لا تبعـد كثـيراً عـن دنقـلا عاصمـة مملكـة المقـرة المسـيحية وهـي في هـذه الفـترة في أوج قوتهـا وإزدهارهـا أمـر مـن الصعـب الأخـذ بـه إلا إذا توفـرت لهـذا الروايـة أدلـة قويـة ومقنعـة ،وخاصـة أن الأدلـة الأثريـة تقـول بـأن قلعـة الدُفّـار تعـود للفـترة المسـيحية ولا توجـد حتـى الآن بينـات آثاريـة تشـير إلى وجـود مملكـة إسـلامية في الفـترة المذكـورة، مـا عـدا دراسـة الفخاريـات التـي تلمّـح إلى وجـود اسـتيطان إسـلامي

مبكـر في المنطقـة، كـما أن هنـاك دليـل آخـر - أشرنـا اليـه - لوجود إسـتيطان إسـلامي يرجـع إلى منتصف القـرن الرابـع عـشر الميلادي، مـما يجعلنـا نشـكك في هـذه الرواية التـي قامـت دعائمهـا عـلى روايـة وردت في الصحايـح التاريخيـة، تقـول بهجـرة جماعـة عباسـية بأمـر مـن الخليفـة العبـاسي أبـو جعفـر المنصـور إلى دنقـلا واسـتقرت في الدفـار سـنة ثلاثـة وسـتين بعـد المائـة ثـم توافـدت عليهـم بعـض أهلهـم- وكان طريـق هجرتهـم عـبر البحـر الأحمـر - وتكاثـروا وعمـروا المنطقـة حتـى أبكـر وبنـوا أكـثر مـن خمسـة عـشر مسـجداً، لا نعـرف لهـا حتـى الآن أثـراً ماديـاً.

ثانيـاً: أن الروايـة تتحـدث عـن البديريـة الدهمشـية بدنقـلا ولنـا وقفـة في هـذا الجانـب، وهـي أن زواج محمـد دهمـش مـن ابنـة غـلام اللـه يحتـاج لبعـض التحقيـق والتدقيق لأن هنـاك روايـات أسرة البادنـاب في دنقـلا العجـوز (القـدار) أن محمـد دهمـش هـو جدهـم ووالدتهـم هـي فاطمـة بنـت غـلام اللـه ، وقـد تـزوج محمـد دهمـش مـن بنـت ملـك النوبـة وجـاب الدناقلـة البديـري ، مـن جانـب آخـر هنـاك تقـول:أن غـلام اللـه كان معلـماً لمحمـد بـن عيسى بـن صـلاح (صالـح) بـن محمـد دهمـش فكيـف تتفـق الروايتـان مـع هـذا الفـارق الزمنـي الكبـير - وسـنفصل في هـذا عنـد حديثنـا عـن التعليـم الدينـي- كـما أن هنـاك روايّـات تقـول بـأن مقـبرة محمـد دهمـش موجـودة مـن الناحيـة الجنوبيـة عنـد منحـدر تلـة صغـيرة عليهـا آثـار قلعـة أبكـر ، وتبعـد عـن النيـل مسـافة ميلـين تقريبـاً [14] (صـورة رقـم 17،18).



صورة رقم (7) توضح موقع اللوحة جنوب موقع أبكر
(تصوير الباحث)



صورة رقم(8) توضح الكتابة الموجودة في اللوحة
(تصوير الباحث)

أما قبة صلاح أو صالح - كما هو مشهور عند سكان المنطقة - تقع بالضفة الغربية لمدينة دنقلا (العجوز) في منطقة الغابة وهي معروفة بقبة شيخ أو حاج سالا، واسم سالا هو تحريف لكلمة صالح عند نطقه باللسان النوبي الدنقلاوي.

ثالثاً: من المهم هنا قبل الإنتقال لمحاور أخرى في نقاش هذه الرواية أن سنتنطق آراء بعض المؤرخين حول المحور السابق حيث أورد شقير معلومة مفادها أن الملك موسى سكن الدفار بعد الإسلام وأسس بها مملكة دامت إلى ما قبل الغزو التركي المصري عام 1821م[15]، ويرجح أبو شوك الرأي الذي يقول بأن مؤسس مملكة الدُفّار هو الملك صلاح بن موسى - الملقب بمسوا الكبير - بن محمد بن دهمش بن بدير[16]، أما عن حدود نفوذ البديرية يقول نوكلز: « إن دار البديرية تمتد من الضيقة شمالاً وحتى حدود دار الشايقية عند جبل الدقر، وكان بها أمراء يحكمون في الخندق ودنقلة العجوز وجزيرة تنقسي وأبُكر والدفار. وكانت دنقلة العجوز أكبر ممالكهم، وكانت سائر الممالك بمثابة إمارات تابعة لها[17].

ويحدثنا ماكمايكل عن نفس المعلومات بصيغة مختلفة، وذكر: أن الموطن الحقيقي للبديرية يقع فيما بين الجوابرة وبلاد الشايقية في مديرية دنقلا. وفي القرن

الثامـن عـشر أو قبلـه، عـاش الزعيـم (المـك) في دنقـلا العجـوز، والملـوك التابعـين لـه في الخنـدق وأبكـر والدفـار[18]. وهنـاك روايـة تحـاول تحـدد تاريـخ إنتقـال السـلطة مـن دنقـلا إلى الدفـار (جقـر نـارتي) في عهـد الملـك مـوسى الأكـبر[19].

إن هـذه المعلومـات تحمـل في طياتهـا الكثـير مـن التناقـض وتطـرح العديـد مـن التسـاؤلات ولعـل أهمهـا، كيـف نوفـق بـين الروايـة التـي تحـدد الجغرافيـة السياسـية للدفار مـا بـين دنقـلا العجـوز والضيقـة، وبـين الروايـات التـي تشـير في أكـثر مـن موضـع أن نفـوذ البديريـة امتـد شـمالاً حتـى ضمـت عـدة أمـارات أخـرى في دنقـلا العجـوز والخنـدق وغيرهـا؟ أظـن أن التفسـير المقبـول لهـذا التسـاؤل أن دنقـلا (العجـوز) العاصمـة التاريخيـة لمملكـة المقـرة لم تفقـد دورهـا السـياسي تمامـاً وإنهـا كانـت مركـزاً مهـماً للتحـولات السياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة التـي شـهدتها المنطقـة عقـب إنهيـار مملكـة المقـرة المسـيحية، وأنهـا خلقـت نوعـاً مـن التـوازن ولـو أسـمياً عـلى المقاطعـات المسـتقلة والتـي عرفـت بأسـم الممالـك ذات الطابـع الإسـلامي، وأن البديريـة شـكلوا طبقـة مهمـة وأساسـية مـن طبقـات مجتمـع المدينـة حتـى آلـت إليهـا السـلطة السياسـية والدينيـة، وهـذا الموضـوع سنناقشـه بإسـتفاضة في فصلنـا عـن التعليـم الدينـي والاسـهام الحضـاري.

رابعـاً: لا توضـح لنـا الروايـة حيثيـات نهايـة إمـارة الدفـار وإنمـا تربطهـا بإمتـداد النفـوذ للسـلطنة السـنارية، والتـي سـماها الأمويـة كـما أطلـق عـلى الدفـار المملكـة العباسـية[22]، بينـما تـكاد تجمـع الروايّـات أن نهايـة مملكـة الدفـار كانـت نتيجـة لغـارات الشـايقية قبيـل الغـزو الـتركي للسـودان عـام 1821م، حيـث إزدادت سـطوة ونفـوذ الشـايقية عـلى المناطـق الواقعـة شـمالها، وكذلـك إرتبطـت بغـارات الشـايقية هجـرة الكثيريـن منهـم إلى كردفـان وآخريـن إلى دارفـور، وفي منتصـف القـرن الثامـن عـشر الميـلادي تقريبـاً نجـح حـاج بلـول أحـد زعـماء البديريـة في احتـلال (كاجـا سروج) عـلى حـدود دارفـور وأتخـذ مـن جبـل (بشـارة الطيـب) عاصمـة لـه (أي كاب بلـول)، ولكنـه تعـرض لغـزو سـلطنة المسـبعات[23]، ويبـدو أن موضـوع نهايـة مملكـة الدفـار يحتـاج لوقفـة لإختـلاف الروايـات حولهـا حيـث هنـاك روايـة معتـبرة أوردهـا محمـد عبـد الرحيـم تقـول أن هنـاك معركـة كبـيرة دارت بـين الشـايقية والمجموعـات المتحالفـة ضدهـا في شـبعانة بمنطقـة القولـد إنتهـت بهزيمـة الشـايقية وتقهقرهـم جنوبـاً، وكادت أن تحـدث مواجهـة ثانيـة عنـد حـدود ديـار الشـايقية لـولا استسـلام الملـك شـاويش وتدخـل علـماء المنطقـة وأجاويدهـا وأصلحـوا بينهـم، ووضعـوا حجـراً في منطقـة الباسـا كحـدود بـين البديريـة والشـايقية[24]وعرف بحجـر الحـد، ولهـذه

الرواية صدى في التراث الشفاهي لسكان منطقة الدفار تتفق في جوهرها مع هذه الرواية وتختلف في بعض التفاصيل، ولكننا نعتقد أن إمارة الدفار قد أصابها الضعف والتفكك نتيجة لسببين، الأول: هجمات الشايقية وغاراتها مما أدى إلى هجرة بعض قادتها شمالاً وغرباً، والثاني: إنقسام الإمارة إلى إقطاعيات أسرية صغيرة حيث استناداً إلى وثيقة حصل عليها أحمد إبراهيم أبو شوك من جامعة بيرغن بالنرويج، يصف فيها مؤلفاها الخواجة يوسف، والخواجة إبراهيم باذ الواقع السياسي للمنطقة قبيل الغزو التركي للسودان بأن إمارة (مملكة) الدفار تقسمت إلى كينونات سياسية صغيرة آل حكمها لبعض أعيان المملكة، وهم الملك سرير في جزيرة الشاطراب، والملك أرباب النور بن عايد في أمبكول، والملك محمد درار موسى على الضفة الشرقية للمملكة، والملك الحتاني على الغربية، والملك بشير الخندقاوي في الخندق[25]، ولعل هناك دليلاً مادياً يذهب إلى أن إمارة الدُفّار قد تقسمت إلى إقطاعيات صغيرة منها قصر الحتاني في الحدود الجنوبية لإمارة الدُفّار، حيث تشير الروايّات الشفاهيّة إلى أن الذي بناه هو الملك أبو القاسم بن الملك موسى الصغير - وقيل ابنه حسين - وذلك في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، وربما كان المبني قديم وأعيد استخدامه في هذه الفترة، وقد تم تخريب هذا القصر بواسطة جاويش ملك الشايقية في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي[26]، والملاحظ أن كل الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة قبل الغزو التركي للسودان 1821 لم يدوّنوا في كتاباتهم منظومة سياسية ملكية في الدفار حتى في أبسط حالاتها.

خامساً: أشارت الرواية إلى أحد الأدلة المادية التي تؤكد وجود مملكة الدفار - في ظل غياب الأدلة المادية الأخرى حتى الآن - وهو نحاس المملكة الذي كان موجودا في حوزة الملك حماد الضريس وذراريه، ولكن رغم بحثنا المُضنّي للتحققّ من هذا النحاس لم نفلح بعد، حيث تضاربت الروايات حوله، حيث تذكر بعض الروايات أن النحاس موجود بمنطقة الجيلي بالخرطوم وآخرون يذكرون أنه موجود بالسجانة، وفي رواية أن النحاس عندما تهدمت قلعة الدفار أصدر صوتاً غريباً ودوياً هائلاً وسقط في البحر (النيل)، أما النحاس الموجود عند أسرة العمدة أحمد أبو شوك بقنتي يقال أنه نحاس الدفار، ويلاحظ أن هناك نقشاً على النحاس مكتوب فيه « أهداء من جاكسون باشا إلى أحمد محمد حسين، وجاكسون باشا هو مدير مديرية دنقلا آنذاك، وهذا النقش جعل البعض يشكك

في مصداقية هذه الرواية، ويعتقدون أن هذا النحاس مجرد هدية (أحضره له من مصر) وليس له صلة بمملكة الدفار، بينما يرى آخرون أن النحاس هو نحاس المملكة أخذه جاكسون باشا وكتب عليه هذا النقش ثم رده إليه، وخاصة أن العمدة أحمد أبو شوك ترجع أصوله إلى ملوك الدفار[27]، وبين هذه الروايات ما زالت الحقيقة ضائعة، وإن كان من قول أخير في هذا الموضوع نشير إلى ملاحظة في غاية الأهمية ربما تعضّد بأن النحاس الموجود عند أسرة العمدة أبو شوك ليس بنحاس الدفار وهي أن الحديث يدور حول نحاس واحد علماً بأن هناك نحاسين، (صورة رقم 9) وهذا يذكرنا بنحاسي الميدوب، ففي عام (1936م) وتحديداً يوم 13 يونيو أهدى الحاكم العام طاقماً من النحاس لملك الميدوب محمد الصباح ود جامع، وهو يتكون من نحاسين، وذلك إحتفال قبلي كبير[28].

من جانب آخر فإن من الأدلة المادية لمملكة الدفار سيف المملكة الموجود عند أسرة قسوة توق بمنطقة المقاودة وتزعم روايات الأسرة أن هذا السيف متوارث من أجدادهم ملوك الدفار وله قيمته الأثرية والمعنوية لدى هذه الأسرة.(راجع الفصل الرابع).



صورة رقم (9): توضح طاقمي النحاس الذي أهداهما جاكسون باشا لأحمد أبو شوك
(تصوير الباحث)

وأخيراً وعوداً على بدء في موضوع أصول البديرية فإن المشهور الآن في المنطقة وامتداداتها أن البديرية ينقسمون إلى عدة عائلات إنتسبت إلى أبناء الملك موسى الأصغر الخمس - كما وردت في الرواية موضوع النقاش - وهم عايد جد العايداب، شاطر جد الشاطراب، وأسعد جد السعداب، أسد جد الأسداب، وحماد الضريس، وتقسمت السلطة في أواخر عهد إمارة الدفار على بعض هذه الأسر.

خاتمة:

إن الحديث عن المكونات السلالية في إقليم دنقلا والسودان الشمالي بصورة عامة من الموضوعات التي يصعب البت فيها لأن هناك تداخل كبير بين السكان على مر الحقب التاريخية التي شهدتها المنطقة، وأن ثقافة المنطقة المتراكمة الجذور هي التي تفرض شخصيتها على المكون السكاني خلال هذه الفترات.

من الواضح أن هناك شبه إتفاق على نهاية إمارة الدفار كانت قبيل الإحتلال التركي للسودان عام 1821م أوتزامن معه، ولكن ما زال الغموض يكتنف تاريخ تأسيسها والكيفية التي قامت بها ونظمها الداخلية وحدودها الجغرافية، ويمكننا أن نفترض أن هذا الكيان السياسي كان ضمن المراكز الإدارية للمملكة المقرة - والتي أطلق عليها اسم الممالك - استقلت مع بدايات انهيار المملكة في نهايات القرن الرابع عشر الميلاد، ثم صارت إحدى مراكز البديرية الدهمشية السياسية الذين كانوا يمثلون الثقل الديني في مدينة دنقلا العجوز، ثم انتقل إليها أحفاد غلام الله بن عايد في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي الذين تصاهروا مع البديرية وبهذا ومع غلبة الثقافة الإسلامية والعربية في المنطقة، تشكل ما يعرف بإمارة الدفار الإسلامية.

أما النظام الإداري لهذه الإمارة فإننا نفترض - كما أشرنا في كتابنا الأول - والتي إشتهرت في الأدبيات السودانية بمملكة الدفار، كان نظاماً بسيطاً يعتمد على الحاكم (الملك) الذي يتخذ من الحصن أو القصر - في الأرجح - مقراً لحكمه، ويكون تداول السلطة في إطار الأسرة.

هوامش وحواشي الفصل الثاني:

(1)إعتمدنا في هذا الجزء بصورة رئيسية على كتابنا: دنقلا والدناقلة، (الخرطوم، 2011م).

(2)نجح البديرية في كردفان في تكوين كيان سياسي عرف بمملكة كاب بلول.

(3)لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: عامر عبد الحميد سيد أحمد، ما أهمله التاريخ (الأشراف العباسيون الهاشميون في السودان فروعهم وأنسابهم وتاريخهم الأشراف الشايقية نموذجاً)، (ب - ن).

(4)سبنسر ترمنجهام، الإسلام في السودان، ترجمة فؤاد عكود، 2001م، ص 24-25. راجع: S. Trimingham, Islamin Sudan, (London, 1949).

(5)ل. كورباتشيك، «النوبة في نهاية القرن الثاني عشر وحتى فتح الفونج في بداية القرن السادس عشر، في تاريخ أفريقيا العام، مج4، اليونيسكو، 1998م.

(6)R.S.O, Fahey and J. L, Spaulding "Kindoms of the Sudan", 1974.في محمد عبد الرحمن أبو سبيب «أدوات الزينة عند الشايقية وأصولها الثقافية، دراسة في الجمالية الشعبية»، أم درمان :مركز عبد الكريم ميرغني (ب. ت.)، ص 25-26.

(7)سمير محمد عبيد نقد، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م)، ص 21-22.

(8)ك. باربر، الموجز في جغرافيا السودان الإقليمية، ترجمة: هنري رياض وآخرون، (بيروت، 1968م)، ص 417.

(9)من الملاحظات المهمة في هذا الإطار الصلح الذي تبناه علماء البديرية بين الدناقلة والشايقية وتم فيه ترسيم الحدود الفاصلة بين الطرفين عند بلدة الضيقة مما يجعل البديرية داخل الحدود السياسية والاجتماعية للدناقلة.

(10) عبد المنعم حسن الملك، دور ربيعة في صناعة تاريخ السودان (مملكة الشاطراب نموذجاً) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، شبكة الإنترنت، وإتصال هاتفي مع الكاتب في شهر أبريل ، عام 2018م.

(11)لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: عطية القوصي، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، (القاهرة: دار المعارف، 1976م).

(12)تحصلت على هذه المعلومات من محمد كنده، باحث ومؤرخ من جبال النوبة، الخرطوم بتاريخ 2012/4/8م.

(13) محمد بن على العجيمي، المولد المسمى بكامل الأنوار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم، ط3 ، (الخرطوم: مطبعة التمدن، ربيع الأول 1393هـ)، ص 83-86.

(14)عامر عبد الحميد سيد أحمد، المرجع السابق.

(15)نعوم شقير ، مرجع سابق ، ص 102.

(16)أحمد إبراهيم أبو شوك، العمدة أحمد عمر كمبال (1915-1995م)، ملامح من تاريخ كورتي وشذرات من تاريخ الرجل، (الخرطوم: مدارك للطباعة والنشر والخدمات، 2016م)، ص 86-87.

(17)و.نوكلز، الشايقية، وصف لقبائل الشايقية وتاريخ مديرية دنقلا من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر، ، ترجمة: عبدالمجيد عابدين، ط 1،(ب. ن)، ص 18.

(18)ماكميكل ، مرجع سابق ، ص 242.

(19)حمد عبد الرحمن حمد البيلي، سلف البيلاب وأصهارهم من أعيان العرب، ط1، (الخرطوم: 2009م)، ص 30.

(20)نعوم شقير، المرجع السابق، ص 102.

(21)نوكلز ، المرجع السابق ، ص 21.

(22)محمد بن على العجيمي ، المرجع السابق ، ص 86-87.

(23)ماكمايكل ، مرجع سابق ، ص 242-243.

(24)محمد عبد الرحيم، النداء في دفع الافتراء، (القاهرة: مطبعة البرلمان، 1952م)، ص 27.

(25)محمد إبراهيم أبو شوك، المرجع السابق، ص 88-89.

(26)حسام الدين محمد محمد أحمد وآخرون، المسح الفلكلوري على الضفة

الغربيــة للنيــل مــا بــين منصوركتــي وحســين نــارتي، 2015م ، ص 13-18.

(27)سوسن حماد، المرجع السابق، ص 8.

(28)عــلى يوســف آدم إبراهيــم (شــيخو)، ملامــح مــن تاريــخ وتــراث الميــدوب، (الخرطــوم: مطبعــة جامعــة الخرطــوم، 2016م)، ص 40.

الفصل الرابع

المقابدة والمقاودة (نافذة على المكَون الاجتماعى)

الفصل الرابع
المقابدة والمقاودة (نافذة على المكّون الاجتماعى)

يحاول هذا الفصل فتح نافذة جانبية أو كوة صغيرة للنظر إلى المكونات الاجتماعية لمنطقة الدفار وللوقوف على هجرة حكام وزعماء الدفار شمالاً وجنوباً وغرباً، حيث ربط البعض هذه الهجرات بصورة أساسية بالضغط السياسي الذي مارسه الشايقية عليهم، وربما كانت هناك أسباب أخرى منها الاقتصادية نتيجة لتآكل الجزر النيلية والأراضي الزراعية وخاصة أن اقتصاد المنطقة كان يعتمد أساساً على الزراعة.

هاجرت عدد من الأسر الدفارية نحو الشمال وبالتحديد شمال دنقلا العجوز ومنها أسرة العايداب في رومي البكري، وأسرة الإيدية في منطقة الإيدية - جنوب القولد - وعرفت بهذا الأسم لأنهم في هجرتهم شمالاً سلكوا طريق الصحراء وهي مأخوذة من الكلمة الدنقلاوية إيدي، وتعني الضباع، وكذلك أسرة واوري في القولد وعرفوا بهذا الاسم لأنهم سلكوا طريق النيل وهي كلمة دنقلاوية نوبية تعني المجدفون[1] وغيرهم من الأسر.

ومن أهم هذه الهجرات هجرة بعض الأسر الدفارية إلى منطقة المقاودة وهي إحدى القرى النيلية الواقعة إلى الشمال من دنقلا (العجوز) بنحو (10 كلم)، وتتميز المنطقة بكثرة المواقع الأثرية الضخمة في شكل قلاع مرتفعة متجاورة - ربما تكون مراكز استيطانية - تمتد لأكثر من (7 كلم) تفصلها ممرات أو منخفضات ومن هذه الأسر آل دقي (دقنجي) ، آل أحفاد حمد (حمد تود توني) الذين يتواجدون أيضاً بمنطقة القدار ، وآل سيد أحمد المشهورين باسم قسوة توقري وسنتناول هجرة هذه الأسرة - كحالة للدراسة- في هذا الفصل وبيان العلاقة بين مجموعتي المقابدة والمقاودة من خلال تتبع دلالات الاسم تاريخياً وجغرافياً.

4-1المقابدة والمقاودة .. العلاقة والدلالة:

إن المتواتر في روايات أهالي منطقة الدفار أن سكان المنطقة الأصليين هم المقابدة، ويقال أن جدهم أم باب بكر ، وهو مدفون بجقرنارتي ومن ذريته النصر الآب والياسيناب بقنتي والمقابدة والعوقاب بأرتموقة وفقيرنكتي ، كذلك لهم فروع بدنقلا فقيرنكتي وغيرها ، ويروى أيضاً أن الشيخ أحمد بن محمد بن حامد والمشهور بأحمد البيلي نسبة إلى بيلة الواقع شرقي مكة المكرمة، وهي المنطقة التي وفد منها إلى السودان عن طريق البحر الأحمر (جده)، وأقام مع ثلاثة آخرين في بلدة شندي،

وكان ذلك تقريباً عام (932هـ/1526م)، ثم انتقل الشيخ أحمد البيلي إلى ديار الشايقية وأقام في تنقاسي وتزوج بنت الشيخ سراج ولد مالك الركابي وأنجب منها أبنه عووضة عام (1040هـ/1631م)، وبعد وفاة والده انتقل عووضة من تنقاسي إلى خلاوي أولاد جابر بشرق النيل وحفظ القرآن على مشايخ أولاد جابر، وقيل أنه حفظ القرآن في خلوة والده، وصار سائحاً بقرآنه حتى أستقر به المقام في قرية فقيرنكتي فبنوا له خلوة (مسيد) وأستضافه عمدة المنطقة الغربية للنيل العمدة الشيخ بشارة بن على برسي الملقب بالغرباوي - وهو اللقب الذي أطلقه عليه الشيخ إبراهيم البولاد بن جابر وذلك لكثر اسم بشارة في المنطقة بين الطلاب ولأنه كان يأتي للدروس من غرب النيل بالمركب - وتزوج الشيخ عووضة دار المقام، وقيل دارة بنت العمدة بشارة[2].

ويبدو أن ثمة صراع قد حدث بين أصحاب الأرض وبين السلطة الدينية التي أخذت تزاحمهم في مصالحهم، حيث تشير الروايات المتواترة - وسمعها أيضاً الكاتب- في المنطقة إلى واقعة تعرف بقطعة أولاد ألس ملخصها أن أربعين شاباً من شباب المقابداب - أهل المنطقة - إتفقوا على قتل الشيخ عووضة بهدم خلوته عليه، ويقال أن السبب في ذلك أنه كلما وُلد له ولد يُكرّمه أهل المنطقة بمنحه ساقية - وهي أرض زراعية متوسط مساحتها 8 أفدنة - فلم يرضهم ما يفعله أهلهم مع هذا الشيخ فقاموا بربط حبل قوي وسميك يعرف بالألس -ولعله الحبل المستخدم في الساقية المعروف بهذا الاسم - حول الخلوة تمهيداً لهدمها، فشاهدهم أحد تلاميذ الشيخ عووضة، فأخبر شيخه المتواجد مع تلاميذه داخل الخلوة، فأخذ الشيخ عووضة بيده حفنة من تراب الخلوة وذرها في الهواء فطار على إثرها الشباب الذين حاولوا هدم الخلوة، كل مجموعة إلى جهة لم يعرف لهم مكان حتى الآن، وعرفت هذه الحادثة بقطعة أولاد ألس، وهي من الروايات ذائعة الصيت في المنطقة[3]، ورغم أن في هذه الرواية نوع من المبالغة، ولكن يبدو أن فيها قدر كبير من الحقيقة حول الصراع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في المنطقة في تلك الفترة، وقد فسر محمد مصطفى هذه الرواية في إطار الإزاحة السكانية واللغوية والثقافية للعناصر الأصلية التي تمت في المنطقة لصالح الأفراد والجماعات الوافدة[4].

أوردت هذه الروايات كتمهيد للحديث عن موضوع المكون الاجتماعي القديم للمنطقة وتفسير ظاهرة هجرة قادة وزعماء الدفار نحو الشمال من خلال الروايّات الشفاهية في منطقة المقاودة والتي تقول أن محمد ووالده هو بشارة الغرباوي عمدة المنطقة هاجر نحو الشمال في فترة متزامنة مع تاريخ حادثة قطعة أولاد ألس ، ولكن هذه

الرواية تورد أسباب أخرى منها أن صراعاً وخلافاً حدث بين أولاد بشارة الغرباوي حول خلافة والدهم أدى إلى هجرة أولاده، وقيل أيضا أن سبب مغادرة محمد بشارة للمنطقة أن سباقاً للحمير جرى في إحدى المناسبات ففاز عليه أحد المتسابقين، وعلى إثره نشب بينهما خلاف فقتله محمد وهرب شمالاً محتمياً بحكام كنكلاب[5]، - ثم انتقل إلى شرق النيل واستقر في منطقة المقاودة وتزوج من حفيدة حسين شبّا أحد حكام المنطقة وصاحب دب (قصر) أو قلعة المقاودة – الواقعة جنوب المقاودة (مصر الجديدة)، حيث تقول رواياّت هذه الأسرة أن النور حسين شبّا تعرض لضغوطّات من الحُمورّاب المتواجدين في منطقة تنقسي جنوب دنقلا العجوز مما أضطّره للهجرة شمالاً والإحتماء بملك أرقو الذي أسكنه مع أهله وحشمه في جزء من جزيرة بدين والمعروف ببدين شبّا، وبقى في منطقة المقاودة إبنه حسين – كان شيخ خلوة في إحدى الروايات – والد فاطمة وهي التي تزوجها محمد بن بشارة المشهور ببشارنتود – أي ابن بشارة – وأنجب منها أبنه بشارة الذي تزوج نورة دهوب إبنه أحمد أغا، المأمور التركي للمنطقة، وتزوج أيضاً من سرية[7]، وتجد هذه الرواية صدى كبيراً في المنطقة حيث كانت توجد مخطّوطة للأنساب منسوبة لحسن عثمان فرح وقيلي بصير ترجع لأكثر من 60 عاما –فقدت الآن - تؤكد هذه الرواية[8]، ويعضدها الذين عاصروها، وهناك أيضا أسرة بشير حمدين التي جاءت من نفس المنطقة – الدُفّار (فقيرنكتي) - وهي تنتمي التي البلياب، وجاءت في فترة تالية أيضاً حمد تود، وفي زيارة للباحث لمنطقة الدفار لاحظ وجود هذه الروايات في منطقتي فقيرنكتي ومنصوركتي، كما وقف على أطلال ما يعرف بحوش بشارةالغرباوي في منصوركتي (صورة رقم (10)).



صورة (10) توضح أساسات طينية لمباني لما يعرف بحوش بشارة (تصوير الباحث)

وتقول بعض الروايّات أن محمد (بشارنتود) هو من أطلق اسم قبيلته مقابدة على منطقة هجرته الجديدة فعرفت بمقابدة ثم حرّفت إلى مقاودة (9)، وإذا سلمنا بأن مقابدة حرفّت إلى مقاودة وحصل إبدال لحرف الباء إلى حرف الواو، وهذا أمر وارد جداً، كما أنه من الممكن تحريف مقاودة إلى مقابدة، لأن هذا الاسم أقدم من هذه الفترة، وخاصة أن هناك تداخل سكاني كبير بين منطقتي دفار، ومنطقة المقاودة -كما وضحنا- فإنه من الصعب تحديد تاريخ العلاقة بين الطرفين، ولكننا يمكن أن نلقي بعض الضوء على هذا الموضوع من خلال البحث عن معنى ودلالة اسم المقاودة والمقابدة وتتبعه تاريخياً وجغرافياً، وكذلك الاسماء القريبة لها في النطق على فرضية حدوث بعض التحريف للاسم خلال الفترات التاريخية المختلفة، ولعل من أقدم هذه الأسماء مقادة (Megada) التي وردت ضمن قوائم اسماء الأماكن الواقعة مابين جنوب مصر وحتى بالقرب من سنار التي أوردها بليني (Paliny) في القرن الأول الميلادي وهذه القائمة مأخوذة من كتابات بيون الضائعة - وهو أحد معاصري بليني- وتم تحديد موقع الاسم بشكل تقريبي ومطابقته مع المجاذيب بعد مقارنته مع قائمة جوبا ((G. Juba التي أوردت أيضاً اسم مقادة أو المقاودة [10].

هناك تشابه كبير أيضاً بين اسم (مقاودا) للدلالة على منطقة جغرافية أو

وعلى مجموعة سكانية وبين بعض المسميّات لمجموعات ساهمت في صنع الأحداث السياسية في الفترة التي أعقبت سقوط مملكة مروي، ففي نقش باللغة الجعزية أشار لحملة قام بها الملك الأكسومي عيزانا بعد عام (320م) وقبل عام (333م) لتأديب بعض المتمردين ومنهم المقارو (Magaro)، والنقش يوضح وجود قوى سياسية متعددة تحاول أن تفرض نفوذها السياسي على المنطقة [11]، ولعلنا نلاحظ هنا الشبه الشديد بين مقارو ومقاودة وكذلك مكاري نسبة إلى المكاريين فقد أطلق هذا الاسم في منتصف القرن السادس الميلادي يوحنا الأفسوسي (John of Ephesus) على المملكة التي قامت في وسط بلاد النوبة، وعاصمتها دنقلا باسم مملكة المكاريين[12]، ويذكر الشاطر بصيلي عبد الجليل إن هذا الاسم مستمد من اسم القبيلة الكبيرة الماكورة[13]، وكذلك ذكر إبن سليم الأسواني الذي زار بلاد النوبة في أواخر القرن العاشر الميلادي وفرق بين النوبة والمقرة بقوله: « وأعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل، وأن مقري جد المقرة ..»[14]، وكذلك أورد عبد الله حسين في كتابه (السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية) في معرض حديثه عن سكان السودان من أجناس أخرى أن المكادة هم الأحباش النصارى[15]' وهذه الأشارات قد ترجح كفة أن المقرة اسم لمجموعة سكانية أكثر من اسم لمنطقة جغرافية، ولعل من المهم هنا أن نشير الي أن اسم مقاودة ظهر في عدد من الخرط القديمة التي ترجع القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كاسم لمدينة أو مجموعة سكانية تقع على نهر عطبرة (خريطة رقم (2)) .

من ناحية اخري تشير روايات النسب في شرق السودان إلى أن مقاودا أو المقاودة ينتمون إلى أحد فروع الحلنقة، وهم الذين ينقسمون إلى كيانين رئيسيين، الأول: كيان الحلنقة الذين جاءوا أصلاً عن طريق الحبشة، والثاني: يرجعون في أصولهم إلى البلويين الذين تصاهروا مع الحلنقة واندمجوا فيهم وأحد فروعهم المقاودة، وذكر عون الشريف قاسم في موسوعته أن مقاودة: مكان بدنقلا والمقاودة فرع من البجا أصلهم من البلو الذين امتزجوا بالحلنقة[16]، وقد تتبع الباحث اسم المقاودة ووجد لها صدى في أرض البطانة وأيضاً توجد مجموعة تحمل اسم المقاودة منتشرة في شرق كسلا بجبل حبوبة وفي سواكن وفي حلفا الجديدة وهي مجموعة معروفة في شرق السودان وتتوزع في عدة مناطق، وأيضا توجد منطقة تقع شرق مدينة أروما تعرف باسم مقاودة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المعلومات أوليّة جمعها الباحث عن طريق

التواصل بالهاتف تمهيداً لزيارة ميدانية لتلك المناطق، وكذلك توجد مجموعة في غرب السودان تحمل اسم المقابضة (راجع الفصل الأول).

ومن الدلائل على الإنتشار الجغرافي لاسم المقاودة للدلالة على مجموعة بشرية (قبيلة) حاكمة ما ذكره نور الدين السيد :أن جدته وتدعى يو بنات أبوبكر من منطقة مشو (جنوب الشلال الثالث) توفيت عن عمر يناهز (135 سنة)، كانت تردد أغنية شعبية نوبية إحدى مقاطعها:

مقاودري أروي - ن - تودكي

(إبن الملوك من مقاودة)

وهذا المقطع يعني أن هذا الممدوح (غالباً العريس) من أبناء ملوك المقاودة، ومعلوم أن مثل هذه الأغاني (السيرة) عادة في حفلات الزواج للتفاخر والتباهي بأنساب ومكانة العروسين في المجتمع، وتقوم بهذه المهمة عادة كبيرات السن العارفات بالأنساب ، وهي عبارة عن سجل تاريخي للأسرة.

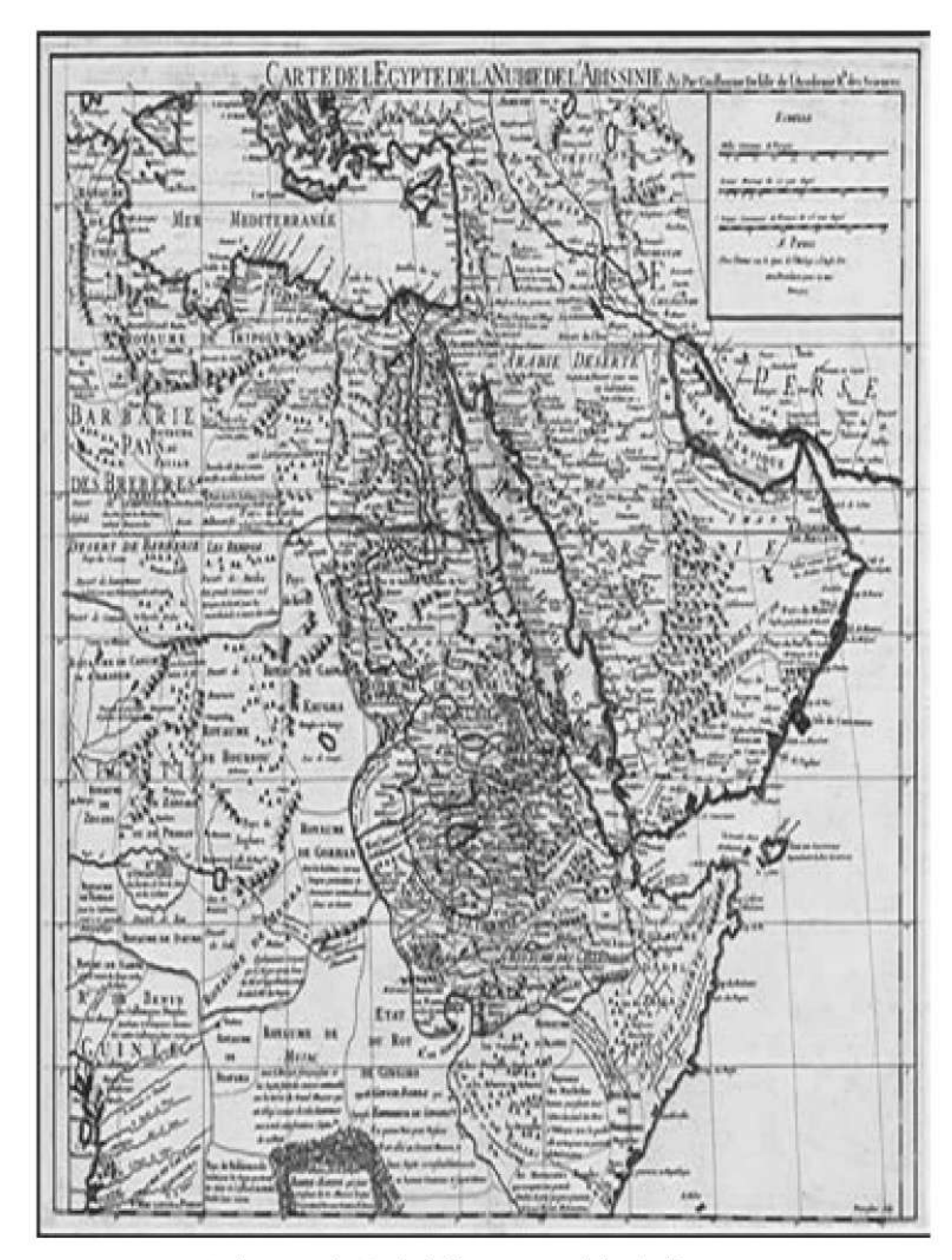
من الواضح أن اسم المقاودة استخدم في الغالب للدلالة على مجموعة سكانية لها كيان اجتماعي وسياسي خلال هذه الفترات التاريخية المتعاقبة، ثم اسقط هذا الاسم على المناطق الجغرافية التي يقطنوها، ووردت بعض هذه المعاني في مقاطع السيرة المتداولة في منطقة المقاودة شمال دنقلا المدينة التاريخية ومنها هذا المقطع وكل مفرداته تشير إلى الأصل الملكي لهذه الأسرة يمكن أن نترجمه على النحو التالي:

أبناء أصحاب المقام الرفيع من المقاودة

الملوك أبناء الملوك من مقاودة

أبناء مقاودة أصول وأساس المنطقة

أبناء مقاودة أصحاب الأعراق الطيبة[17].



خريطة رقم (2) توضح مدينة المقاودة علي نهر عطبرة

4- 2 روايات أسرة قسوة توق بالمقاودة:

سنتناول في هذا الجزء،من هذه الدراسة، روايات أسرة قسوة توق بمنطقة المقاودة والذين يزعمون أن أصولهم ترجع لملوك الدفار، وأن بحوزتهم سيف مملكة الدُفار؛ ورأيت إن أُقسم هذه الروايات إلى موضوعات، حتى يسهل تحليلها وقراءتها في سياقيه التاريخي والثقافي مبتدءاً بلقب الأسرة وبيان معناه ودلالته، ثم هجرتهم إلى المقاودة وأسبابها وأخيراً علاقتهم بملوك الدُفّار.

الاسم ودلالاته:

يقول عزالدين سعيد: «لقب الأسرة قيل فيه الكثير منهم من قال أو فسر التسمية قسوة طوق بكاسري الرماح أومن يضربون بقوة وقسوة، وأنا أميل لهذا التفسير لسبب بسيط وهو أن هذه التسمية أطلقت على من أتو إلى المقاودة فقط ودليلي على ذلك أن هذه التسمية غير موجودة في الكرد حيث أعمامي وأبي، وإن صح تحليلي كانت التسمية تخص من استقروا بالمقاودة وتكون المفردة محلية من أهل المقاودة، وبلغة أهلها وفي هذا قيل لأنهم كانوا بدايةً لايركبون إلا الخيول أو الحمير المميزة المسرجة، ويتميزون بلبس أفخر الثياب بمقياس ذاك الزمان وكان فيهم شيء من الأنفة وإن شئت العزة ومجرد أنهم يتحدثون العربية كان شيء غير مألوف بمجتمعنا والله أعلم»[18]. إن ما أورده عز الدين سعيد إدريس في تفسيره أو تخريجه للقب الأسرة هو التفسير الشائع في المنطقة، ولكن بدوى موسى أورد رواية مختلفة مفادها: «إن سبب هذا اللقب هو أن سيد احمد، وهو أول القادمين لمنطقة المقاودة -سنتناوله لاحقاً - كان تاجراً لصوف البهائم وكان أيضاً يقوم بحلاقة الماعز والضأن لذا أطلق عليه هذا اللقب وأن آلة الحلاقة المقص كانت معروفة باسم كيسور»[19]، ويعضد الرواية الأولى تفسير محمد حسين شبا للقب بقوله: «وكانوا...يتكلمون العربية بفصاحة ويدمجونها مع اللغة النوبية، ويبدو أنهم لقبو أنفسهم (بكاسري القسي) أي الحراب، وهكذا تكون الكلمة من مقطع أول عربي وثاني نوبي؛ والاحتمال الثاني يرجع إلى أناقة اللبس وهو أيضاً مكون من مقطعين الأول عربي والثاني نوبي وهو (كسوة توق) وقلبت الكاف قافاً لقرب المخرج، وكسوة الملبس وتوق المبالغة في اللبس، وللآن عبارة مشهورة تقال في المنطقة لمن يحسن اللبس يقولون له (توق دقيد دان)»[20]؛ ومن المحتمل أن يكون لهذا اللقب دلالة دينية وسياسية. وربما كان أصل الكلمة مكون من مقطعين كسّي (kasse) وهو تحريف لكلمة كنيسة، وتعرف منطقة تقع شمال المقاودة باسم كسيْ، أما المقطع الثاني توق بمعنى يكسر أو يهدم والمعنى الذي

يرمى إليه اللقب من الناحية الدينية أن هذه الأسرة تمكنت من نشر الإسلام وهدمت الكنيسة مجازاً أو حقيقةً، لأنها أسرة دينية تنتمي للدُفار، كما تشير رواياتهم، والدلالة الثانية سياسية وهى أنهم من البيت الحاكم في دُفار[21] ، وأميل أكثر للدلالة الثانية على حسب الشواهد الشفاهية التي سنوردها في الصفحات التالية .

هجرتهم إلى المقاودة وأسبابها:

تشير روايات أسرة قسوة توق أن أول من قدم لمنطقة المقاودة، هو: «سيد احمد وابن عمته ميرغني عبدالرحيم، هاجروا أو هُجِروا في الثلث الأول من القرن الثامن عشر الميلادى وهما شباب لم يتزوجوا بعد على مراكب محملة ببعض بضائع ذاك الزمان، ولكل حصان وسلاح وجدنا سيد احمد كان قد اشترط أخذ السيف، وكان هو الأحق بتسلم سيف ملوك دُفار حسب الروايات التي سمعناها، وبعض الروايات تقول إنهم فعلوا ما يوجب ترحيلهم ...، وفي نفس الوقت استبعد تركهم طواعية لأرض أبائهم وأجدادهم ...ولكن أساس المشكلة لا أعلم عنها شيئاً ويبدو أنها كانت مشاجرة أدت إلى قتل، وقيل عنه انه كان قوياً شديد المراس شجاعاً لا يهاب وفارس ولا أستبعد أن يكون فعلها في تلك السنة المبكرة بداية العشرينات ... وسمعت أيضاً من يقول إن سبب المشاجرة التي أفضت إلى القتل كانت نزاعاً على السيف مما يؤكد أهمية ومكانة من يستأثر بالسيف داخل الأسرة وخارجها في تلك الحقبة، وتزوج سيد احمد كمير موسى، أخت إبراهيم موسى وكان من علية القوم ...والساقية الحالية (الساقية رقم 6 بالمقاودة) باسم جدنا سيد احمد حيث نحن الآن كانت لإبراهيم موسى شقيق كمير التي تزوجها جدنا وبعد أن آلت ملكية الساقية لسيد احمد اتجه جدنا إبراهيم موسى شمالاً لجدي كوتي -حلة داخل القرية -، وهناك من يقول أن سيد احمد أشترى الساقية من إبراهيم موسى وكان سيداً موسراً طبقاً لمقاييس تلك الفترة، وأنا اعتقد إن ثقافة بيع الأملاك إن جاز التعبير لم يكن مألوفاً حينها قد يكون تنازل طواعيةً لصهره... ويقال إن أهلهم كانوا متواصلين في كل المناسبات والشوقار بتاع الختان _ وهي عادة متبعة حيث كانوا يذهبون بالمختون لزيارة أهله_ كان يصل حتى قشابي وقنتي على مدى أيام على ظهور الحمير ، ويقال إن آخر مناسبة كانت ختان أعمامنا محي الدين وبشرى حيث مكث أهلهم بالمقاودة لمدة أربعين يوماً وكان ذلك خلال العقد الأول من القرن الماضي وهذا يدل على استمرار الود أي لم يكن هناك ما يوجب القطيعة ...»[22].

توضح هذه الرواية أسباب وتاريخ وبداية هجرة هذه الأسرة إلى المقاودة؛ ومن ثم لحق بعض الأفراد من الأسرة حيث تذكر الروايات إن عائشة شقيقة سيد

احمد قد لحقت بأخيها في المقاودة من أجل إثنائه عن الاستقرار في المقاودة والعودة مرة أخرى، ولكنها هي نفسها استقرت بالمقاودة؛ وإذا حسبنا عدد الأجيال لهذه الأسرة من سيد احمد وحتى الآن نحو ستة أجيال وإذا وضعنا تاريخاً تقريبيً لكل جيل بثلاثين سنة فإن قدوم هذه الأسرة يكون في الثلث الأول أو النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وهو تاريخ مقارب لما ورد في الرواية، ولكن يبدو أن الراوي قد أخطأ في القرون الميلادية - وهذا أمر وارد- فذكر الثلث الأول من القرن الثامن عشر الميلادي بدلاً من الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وهو تاريخ مناسب للأحداث التي مرًت بها مملكة الدُفار فقد ذكر نعوم شقير:»مملكة الدُفار. قامت في حلة الدُفار...ودامت إلى ما قبل الفتح المصري بقليل إذ خربها الشايقية وطردوا أهلها منها إلى جزيرة قانتي (قنتي) حيث لا تزال ذُريتهم إلى اليوم ...»[23] ويمكننا أن نعطى تاريخاً تقريبياً لنهاية مملكة الدُفار وهو نهايات القرن الثامن عشر الميلادي، ومن جانب آخر فإن ماورد في هذه الروايات يُكاد يُطابق ما ذكره نعوم شقير من طرد ملوك الدفّار إلى قنتي، ويبدو أن الأسرة الحاكمة انتشرت في المنطقة النيلية في مناطق قوشابي، والدبة، والكرد، والمقاودة وغيرها، وفي هذا الإطار أشار إبراهيم أبنعوف إلى أن أسرة حمد تود في القدار، وأسرة واورى في القولد، التي ترجع أصولها الي الدفار يزعمون بأن لهم صلة قرابة بهذه الأسرة(24).

علاقتهم بملوك دُفار:

أما علاقة أسرة قسوة توق بملوك دُفار فتشير روايات الأسرة إلى أنهم ينتسبون إلى البديرية الدهمشية ملوك دُفار (وثيقة رقم (1))، ولمحمد حسين شبَا له رواية أخرى عن نسب أسرة قسوة توق لا تخرج عن السياق العام الذي طرحناه في الفصل الاول حول دلالات كلمة جعل ،وذكر:»أن جده محمد ووالدته هي عائشة إدريس- ورد ذكرها - حكي له أن جدهم الكبير واسمه بادي أبو حراب جعلي من المتمة وكان فارساً مشهوراً»[25]، وتعضد هذه الرواية ما جاء في سيرة أسرة شبّا وهم أصهار سيد أحمد ، نوردها مترجمة من اللغة النوبية الدنقلاوية _ ويمكن تفسيرها في إطار مكون جعل ,ليس جعليين_:

شبّا ابن جعل الشايقية

شبا ابن شيوخ دبة الفقراء

شباابن قوشابي وجرا [26]



وثيقة رقم (1) توضح نسب أسرة قسوة توق وهي منسوخة من الوثيقة الأصلية
(منزل خالد سر الختم - بري الخرطوم)

ومـن أهـم الأدلـة عـلى علاقـة هـذه الأسرة بملـوك الدُفـار روايتهـم المتواتـرة بـأن سـيف المملكـة موجـود لـدى الأسرة، وهـو موجـود الآن بطـرف خالـد سر الختـم السـيد سـيد أحمـد الـذي روى قصـة وصـول السـيف إليـه قائـلاً: « عمـى أمـين السـيد وأخـوه عبـد اللطيـف عندمـا اسـتلموا السـيف وكان عنـد عبـد اللطيـف ومكـث عنـده عـشرات السـنين، وده قبـل خمسـين عـام تقريبـاً، وأخـيراً أجتمـع أفـراد الأسرة وقـرروا تـرك السـيف عنـد كبيرنـا وتـم تسـليمي السـيف قبـل أربعـة سـنوات[27]»، وعـن أصـل هـذا السـيف ذكـر: « سـمعت مـن عمـى السـيد عبـد اللطيـف سـيد احمـد أنـو السـيف متـوارث مـن ملـوك دُفـار وقيمتـه أثريـة وأنتقـل مـن جدنـا سـيد احمـد ومنـه لإبنـه السـيد، وعنـد تسـليم السـيف يقـام احتفـال يشـبه العـرس[28]»، ويضيـف أزهـري سـعيد،على حسـب ماسـمع مـن كبـار السـن:»كان لتسـليم السـيف طقـوس معروفـة زى احتفـال الأعـراس يتـم ذبـح الثـور وذبائـح أخـرى وبعـد مراسـم التسـليم والتسـلم يتـم تهنئـة مـن يُسـلم لـه السـيف كأنـه عريـس، وتغنـى الأغـاني ويضربـوا الدفـوف وتقـال الأشـعار ولكـن للأسـف لم تصلنـا أشـعارهم[29]»، أمـا وقـت توريـث أوتسـليم الابـن السـيف يقـول عزالديـن سعيد:»المسـألة لم تكـن مرتبطـة بعمـر الابـن إطلاقـاً بالعكـس كانـت مرتبطـة بعمـر الأب وتقدمـه في العمـر يعنـى في أواخـر أيـام الأب يسـلمه لأكـبر أبنائـه سـناً»[30]» .

أمـا وصـف السـيف فطولـه مـتر وعرضـه (3.5) سـم وهـو مصنـوع مـن الفـولاذ وعليـه ختـم أو نقـش في شـكل هـلال، ومقبضـه مـن الخشـب مغطـى بسـيور مـن الجلـد رفيعـة حسـنة الصنـع مربـوط عليـه حريرأحمـر،كان مـن طقـوس احتفـال التسـليم، وفي مقدمتـه حديـد في شـكل صليـب؛ والجـراب مـن جلـد البقـر وفي مقدمتـه غالـب الظـن جلـد تمسـاح صلـب وبـه زخـارف كثـيرة في شـكل مثلثـات ودوائـر صغـيرة متداخلـة وخطـوط متموجـة، وطـول الجـراب (86سـم) وعرضـه (5 سـم)، (أنظر:الصـور11 - 14)، وهـذا السـيف شـديد الشـبه بسـيوف ملـوك أرقـو الذيـن تزامنـت مملكتهـم مـع مملكـة الدُفـار، وهنـا أشـير إلي ضرورة إجـراء مزيـد مـن الدراسـات حـول السـيف مـن مختصـين.



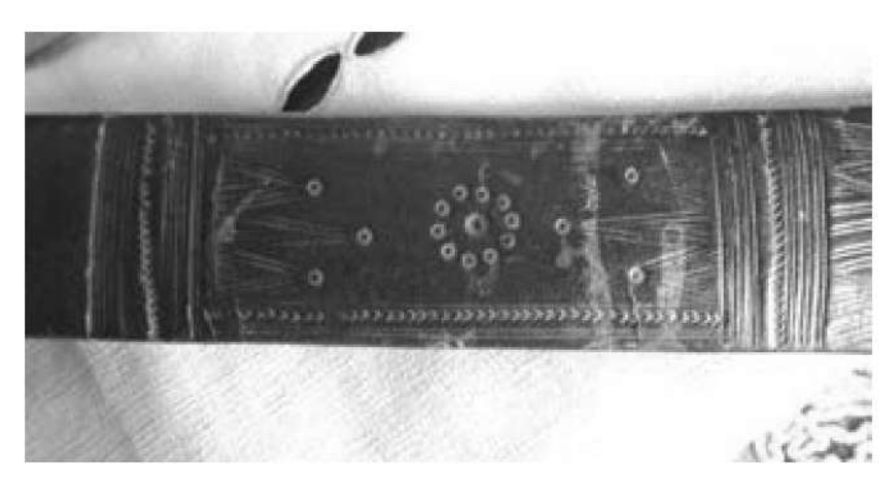
صورة رقم (11): سيف مملكة الدفار الموجود لدى أسرة قسوة توق
(تصوير الباحث)



صورة رقم (12)مقبض ا-لسيف (مربوط به حرير أحمر)
(تصوير الباحث)



صورة رقم (13): رموز ونقوش على السيف
(تصوير الباحث)



صورة رقم (14): رموز ونقوش على غمد السيف
(تصوير الباحث)

خاتمة :

هـذا الفصـل كـما يُوحـي عنوانـه يحـاول أن يفتـح نافـذة عـلى التركيبـة الاجتماعيـة لمنطقـة الدفـار مـن خـلال التواصـل السـكاني والثقـافي المسـتمر عـبر الفـترات التاريخيـة المتعاقبـة والتـي حثـت فيهـا بعـض التغيريـات في التركيبـة السـكانية ، يمكـن وصفهـا بأنهـا محـدودة حيـث أسـتقبلت المنطقـة بعـض الهجـرات البشريـة الوافـدة ، التـي أشرنـا لبعـض جوانبهـا ، وفصلنـا في الروايـات التـي تحدثـت عـن السـكان الأصليـين لمنطقـة الدفـار وهـم مقـاودة وحرفـت الي مقابـدة ومقابضـة لان مقـاودة الاكـثر انتشـار والاكـثر ورودا في المصـادر المختلفـة ،وهـذا الاسـم ارتبـط بالتحـركات السـكانية التـي حدثـت عقـب انهيـار مملكـة مـروي في القـرن الرابـع المـلادي وربمـا قبلهـا ،ولعـل اخـر حلقـات هـذه هجـرات هـذه المجموعـة -التـي امتـدت بصـورة واضحـة مابـين مناطـق البحـر الأحمـر ونهـر النيـل - هجـرة بعـض أفـراد الأسرة الدفاريـة الحاكمـة مـن منطقـة قنتـي الي منطقـة المقـاودة ، وتبقـي النافـذة مفتوحـة لمزيـد مـن الدراسـات المسـتقبلية .

هوامش وحواشي الفصل الثالث:

(1) محي الدين تيتاوي ، صحفي سوداني معروف واستاذ جامعي، 70 عام تقريباً، مقابلة بمنزله بالخرطوم، يوم 2016/6/9م.

(2) حمد عبد الرحمن حمد البيلي، المرجع السابق، ص 32-33.

(3) نفس المرجع ، ص 39-41.

(4) محمد المصطفى النور، « أولاد ألس – الإزاحة السكانية واللغوية والثقافية للعناصر الأصلية والتحول نحو العربية – الإسلامية في المنطقة الممتدة بين منصور كتي والدبة من خلال الروايات الشفاهية»، ورقة مقدمة في مؤتمر: «سنار: المدينة - الدولة – الحضارة»، ضمن فعاليات سنار عاصمة الثقافة الإسلامية 2017م، بتاريخ 31 مايو – 1 يونيو 2016م، قاعة الصداقة، الخرطوم.

(5) عمر عبد الرحيم سلطان، 80 عام تقريباً ، تاجر ، مقابلة بمنزله بأركويت – الخرطوم بتاريخ 2016/8/3م.

(6) عوض أحمد حسين شبا ، المقاودة – الاسم والتاريخ – مقال غير منشور.

(7) حليمة كية ، متقاعدة في المنزل ، 120 عاماً تقريباً ، مقابلة بمنزلها ، قرية المقاودة (مصر الجديدة)، بتاريخ 2009/10/21م.

(8) علوية حسن عثمان فرح ، معلمة ، 58 عاماً تقريباً ، مقابلة معها بمنزل بشرى شيخ الدين ، المزاد – الخرطوم بحري، بتاريخ 2017/4/5م.

(9) محمد حسين محمد محمود ، نقابي سابق ، مهتم بالتراث، 70 عام تقريبا، مقابلة بمنزل عثمان حسين محمد محمود، الحاج يوسف، الخرطوم بتاريخ 2018/6/2م.

(10) أو. جي ، كروفورد ، المرجع السابق ، ص 25-27.

(11) فوزي عبد الرازق بيلي مكاوي، (مملكة أكسوم – دراسة لتاريخ المملكة السياسي وبعض جوانب حضارتها)، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1974م ، ص 334 – 335.

(12) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى - بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1960م)، ص 71.

(13) الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1972م).

(14) ابن سليم الأسواني (ت 386هـ/996م)، عبد الله بن أحمد بن سليم، كتاب النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية العربية ، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة، بتاريخ السودان في العصور الوسطى، (الخرطوم: من مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972م)، ص 98-99.

(15) عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م)، ص 35.

(16) عون الشريف قاسم ، المرجع السابق ، ص 59 ، 23.

(17) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع، راجع:

29. عوض أحمد حسين شبا ، أغنية السيرة السردية الدنقلاوية ، كتاب غير منشور.

(18) عز الدين سعيد إدريس سيد احمد، موظف بالمعاش، 70 عام الإمارات العربية المتحدة، تسجيل صوتي بالواتساب، بتاريخ 2016/8/7م.

(19) بدوى محمد موسى بلال، موظف ومزارع بالمعاش، 75 عام، مقابلة شخصية بقرية المقاودة، بتاريخ 2016/8/13م .

(20) محمد حسين محمد محمود ، الراوي السابق.

(21) عوض شّبا، المقاودة، مرجع سابق.،

(22) عز الدين سعيد إدريس سيد احمد، الراوي السابق.

(23) نعوم شقير، مصدر سابق، ص 428.

(24) إبراهيم أبنعوف، أستاذ جامعي، 65 عاماً تقريباً، مقابلة بمكتبه، جامعة الخرطوم، بتاريخ 2016/11/7م.

(25) محمد حسين محمد، الراوي السابق .

(26) عوض شّبا، أغنية السيرة ، المرجع السابق.

(27) خالد سر الختم سيد احمد (بروفيسر)، أستاذ جامعي بالمعاش 72 عام، مقابله بمنزله بالخرطوم بري، يوم الأربعاء 2016/7/23م .

(28) نفس الراوي.

(29) أزهري سعيد إدريس سيد احمد، موظف بالمعاش، 65 عام، مقابلة بالحاج يوسف الخرطوم بتاريخ 2016/10/21م.

(30) عز الدين سعيد إدريس، الراوي السابق .

الفصل الخامس

التعليم الديني والإسهام الحضاري

الفصل الخامس
التعليم الديني والإسهام الحضاري

تمهيد:

إن مـن أبـرز المظاهـر الحضاريـة لخلفـاء مملكـة المقـرة هـو إزدهـار التعليـم الدينـي وإنتشـار الثقافـة الإسـلامية واللغـة العربيـة في أهـم منعطـف تاريخـي للتحـولات الثقافيـة والحضاريـة بعـد إنهيـار الممالـك النوبيـة المسـيحية ، وقـد مثلـت منطقـة الدُفّـار بدايـات هـذا التحـول، وكانـت مدينـة دنقـلا (العجـوز) هـي نقطـة الإنطلاقـة الأولى، ومـن أهـم مراكـز التعليـم الدينـي في السـودان.

ويهتـم هـذا الفصـل – وكان في الأصـل ورقـة بعنـوان: خـلاوي دنقـلا العجـوز وأثرهـا الدينـي في السـودان (قـراءة تاريخيـة في كتـاب طبقـات ود ضيـف اللـه) قدمـت في مؤتمـر كتـاب الطبقـات (2015م) - بالحركـة الدينيـة والتعليميـة التـي انتظمـت المنطقـة بالإشـارة للمراكـز العلميـة المهمـة ، مـن حيـث القـدم والتأثـير ، والتـي عرفـت باسـم الخـلاوي، ومفردهـا خلـوة وتجمـع خلـوات ،والمشـهور في السـودان خـلاوى -وهـي في الأصـل مـن الإصطلاحـات الصوفيـة التـي تعنـي إعتـزال النـاس بقصـد التعبـد والوصـول إلى الحقيقيـة، أمـا في السـودان فـإن للخلـوة مدلـول آخـر ومحـدد بمـكان تـؤدي فيـه وظائـف التعليـم الدينـي مـن تعلـم الكتابـة وتحفيـظ القـرآن ثـم دراسـة العلـوم الدينيـة[-(1)]، وسـوف نسـتخدم في هـذا الفصـل مصطلـح خلـوة لشـهرتها وإيفائهـا بغـرض الدراسـة، مـع التمهيـد بمقدمـة موجـزة لمدينـة دنقـلا وملامـح تحولهـا للإسـلام لأهميتهـا ولأن أولى خـلاوي السـودان أنشـئت فيهـا ، وكذلـك كانـت مـن أهـم المراكـز الدينيـة والتعليميـة للبديريـة.

5 – 1 دنقلا كمدينة علمية إسلامية :

تقـع مدينـة دنقـلا عـلى الضفـة الشرقيـة لنهـر النيـل عنـد دائـرة عـرض (13َ465ً 18ْ) وخـط طـول (30ْ44َ688ً)، وترجـع أقـدم الأدلـة الأثريـة التـي تشـير إلى وجـود هـذه المدينـة، حتـى الآن، إلى أواخـر القـرن الخامـس الميـلادي. وأخـذت هـذه المدينـة في النمـو والتطـور حتـى أصبحـت حـاضرة مملكـة المقـرة في القـرن السـادس الميـلادي. ثـم إزدادت أهميتهـا السياسـية والدينيـة بعـد أن صـارت عاصمـة المملكـة المتحدة(مملكتـى المقـرة ونوباتيـا) في بدايـات القـرن الثامـن الميـلادي عـلى الأرجـح[(2)].

وشـهدت هـذه المدينـة دخـول الديانـة المسـيحية بصـورة رسـمية عـلى المذهـب

الملـكاني في النصـف الثـاني مـن القـرن السـادس الميـلادي ثـم تحولـت في فـترة لاحقـة إلى مذهـب الكنيسـة المصريـة[2]. أمـا كيفيـة دخـول الإسـلام إلى دنقـلا مـازال يكتنفهـا رغـم أن الكثـير مـن الإشـارات توضـح تـسرب المؤثـرات الإسـلامية إلى بـلاد النوبـة مـع بواكـير الدعـوة الإسـلامية. مثـلاً يـرى عبـد اللـه الطيـب أن الهجـرة الأولى للمسـلمين في السـنة الخامسـة مـن البعثـة المحمديـة كانـت إلى بـلاد النوبـة (السـودان) وهـي الهجـرة التـي إشـتهرت عنـد المؤرخـين المسـلمين بإسـم هجـرة الحبشـة[4]. ولعـل أول اشـارة لوجـود جاليـة مسـلمة صغـيرة مكونـة مـن سـتين فـرداً في مدينـة دنقـلا ترجـع إلى أواخـر القـرن العـاشر الميـلادي[5].

يبـدو أن تحـول دنقـلا مـن المسـيحية إلى الإسـلام تـم بصـورة سـلمية وفـق تغـيرات سياسـية وإجتماعيـة وثقافيـة بطيئـة ظهـرت بوادرهـا بتـولي سـيف الديـن عبـد اللـه برشـمبو كأول ملـك نـوبي مسـلم لعـرش دنقـلا عـام (1317م)، وقـد أسـس أول خلـوة لتعليـم القـرآن كـما تزعـم بعـض الروايـات الشـفاهية ، وهنـا نشـير إلى أن مـن أقـدم المسـاجد في بـلاد النوبـة المسـجد الـذي ورد في إتفاقيـة البقـط (31هــ / 652م) (6)، وتوجهـت أنظـار الباحثـين إلى مدينـة دنقـلا بإعتبارهـا العاصمـة ومـكان توقيـع الإتفاقيـة، وأقـترح غرفـة صغـيرة بهـا مئذنـة واقعـة إلى الشـمال الشرقـي مـن القـصر الملـكي كـما هـو مشـهور- ولكنـي أقـترح مسـمي (المبنـى(X)) لعـدم المعرفـة الدقيقـة لطبيعـة المبنـي حتـي الان - إلا أن الدراسـات الآثاريـة التـي أُجريـت عليهـا أشـارت إلى أن تاريـخ هـذا المبنـى يعـود إلى القـرن الرابـع عـشر الميـلادى، ولعـل الـذي أدى إلى تضـارب الآراء حـول هـذا المبنـى إفـتراض أن الغرفـة المشـار إليهـا هـو المسـجد دون التحقـق منهـا، وكذلـك دراسـة الغرفـة (المسـجد المزعـوم) كأنـه مبنـى قائـم بذاتـه، والوقـوف عـلى الغرفـة يؤكـد بصـورة واضحـة أنهـا جـزء مـن مبنـى يتكـون مـن عـدة غـرف مختلفـة الأحجـام، والراجـح أن هـذا المبنـى هـو خلـوة قديمـة لـدى مقارنتهـا بالطـرز المعماريـة للخـلاوى الموجـودة وخاصـةً المئذنـة الملحقـة بالغرفـة (المسـجد المزعـوم)، وتذكـر بعـض الروايـات الشـفاهية أن هـذا المبنـى هـو خلـوة ومسـيد عبـد اللـه ومـن المحتمـل أنـه الملـك عبـد اللـه برشـمبو ، مـن جانـب اخـر فـإن بعـض الدراسـات شـككت في نصـوص إتفاقيـة البقـط المشـهورة (صـورة رقـم (15))[7].



صورة رقم (15) توضح آثار خلوة ومسجد الملك عبد الله برشميو المزعوم
(تصوير الباحث)

5 – 2 خلوة غلام الله بن عائد وأحفاده (الركابية):

تذكر بعض الروايات التاريخية أن الشيخ غلام الله بن عايد ينتمي إلى أسرة دينية عريقة باليمن لها صلة بآل البيت الشريف وأنه قدم إلى السودان في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وأستقر في دنقلا لأنها كانت في غاية من الحيرة والضلالة الشديدة لعدم وجود العلماء ومدارس القرآن وعمل على تعمير المساجد وإنشاء مدرسة (خلوة) لتعليم القرآن الكريم[8].

وقد إختلف الباحثون والرواة في أصل غلام الله بن عايد فبعضهم يرى أنه يمني، ولكنهم لم يتفقوا حتى في إسم البلدة التي جاء منها من اليمن هل هي زيلع أم الحليلة أم اللُّحية، وآخرون ينسبونه إلى الحجاز، ومن أجل التحقق من هذا الموضوع سافر الطيب محمد الطيب إلى اليمن سنة (1975م) وإلتقى بالقاضي إسماعيل الأكوع، وهو أحد العالمين بدور العلم في اليمن، وسأله عن بلدة اللُّحية فأجابه: لا توجد قرية بإسم اللَحية في اليمن وذكر له أن هناك بلدتان بإسم الحليلة هما حليلة صنعاء وحليلة بني مطر، ورجح الطيب بأن غلام الله ربما يكون من حليلة بني مطر لأنها معروفة بتعليم القرآن من زمن طويل بالرغم من أنه لم يجد ذكر لغلام

الله في تلك المناطق[9]، ومن ثم إشتهر إسم الحليلة بإعتبارها البلدة التي هاجر منها غلام الله إلى دنقلا بين الكتاب والباحثين السودانيين. إلا أن المعلومات التي توصل لها الطيب لم تقنع بعض الباحثين، ومنهم سمير محمد عبيد الذي سافر إلى اليمن سنة (2006م) لنفس الموضوع وجمع معلومات مهمة أشارت الي أن غلام الله بن عايد أتى إلى السودان في تاريخ تقريبي قدره بحوالي عام (870هـ)، أي في نهايات القرن الخامس عشر الميلادي أو في بدايات القرن السادس عشر الميلادي، من بلدة اللُّحية اليمنية وهي ميناء صغير على البحر الأحمر عند مصب وادي مور مع الحديدة، ويُرجح أنه ينتسب إلى قبيلة جهينة وذلك بعد أن فنَّد كل الروايات الي تنسبه إلى أهل البيت أو إلى بني هاشم. وذكر أن السبب في ذلك هو الظروف السياسية والإجتماعية في تلك الفترة التي تجعل من النسب الشريف حماية لأرواح وأموال الدعاة من هجمات القبائل، فضلاً عن المكانة الدينية والإجتماعية التي قد يتمتعون بها بإدعائهم لهذا النسب. وإعتمد في ترجيحه هذا على وثيقة فيها نسب عبد الرحمن بن جابر، أحد أحفاد غلام الله، فيما كتبه في إجازته لإبراهيم بن أم رابعة: «بتاريخ إثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية، وكتبه الفقير بن جابر الجهني في العرب نسباً ، وبلغني أنه ثبت نسباً من ذرية السايح أحمد بن عمر، وهو من ذرية عقيل بن أبي طالب، ولكن الأول هو المتواتر من آباءنا، فسبحان الله الموفق للصواب». ولعل السبب الرئيسي في قدومه للسودان علمه بالحضور الكبير لقبائل جهينة في السودان، أما إختيار دنقلا كمقر له فلأنها أكثر أمناً وتقدماً[10].

إن قراءة هذه الوثيقة من ناحية تاريخية تُرجّح معلومة سمير محمد عن تأريخ قدوم غلام إلى السودان، ومما يدعم هذا الرأي أيضاً ما جاء في ترجمة رباط بن غلام الله عن قصة زواجه لأمة من الصواردة وهي التي ولدت له إبنه سليم[11]، وكانت هذه الحادثة في زمن الفونج، ومعلوم أن تاريخ سلطنة الفونج بدأت منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي(1504م)، وليس من المعقول أن تكون الفترة الزمنية بين الأب وإبنه ما يقارب القرنين من الزمان، كما أن سوار الدهب -الذي سيأتي الحديث عنه- تتلمذ على يديه في فترة زمنية مقاربة.

ويزعم على عثمان محمد صالح أن غلام الله بن عايد ينتمي إلى إحدي الأُسر الدينية اليمنية التي إستقرت شمال من مدينة دنقلا، وربما في منطقة المحس، وعُرفوا بإسم الركابية. ويعتقد أن إسم ركاب في الأصل كلمة نوبية وهي أركبجي(Arkabaje) وتعني الغول، وهي من المصطلحات الصوفية التي تطلق على الشيوخ للدلالة على

مكانتهـم الدينيـة والروحيـة. ويُرجـح أن غـلام اللـه انتقـل مـن هـذه المناطـق إلى مدينـة دنقـلا وأنشـأ بهـا مدرسـة دينيـة عريقـة ومشـهورة[12]. وأرى أنـه قـد يكـون لهـذا التخريـج شـئ مـن المعقوليـة وذلـك لإشـتهار إسـم ركابيـة للإشـارة لأسرة غـلام كـما أن شـهرة غـلام اللـه بـن عايـد نفسـه هـي الـركابي رغـم أنـه إسـم أحـد إبنيـه.

أمـا اسـم غـلام اللـه فقـد أثـار أيضـاً جـدلاً بـين الباحثـين، وأكـثر الروايـات شـهرة هـي التـي تقـول بـأن غـلام اللـه كان صغـيراً و حـدث أن إشـتعلت النـار في منزلهـم فهرعـت الأم لإنقـاذه فمنعهـا والـده وقـال: لـو كان ولـدي لا تأكلـه النـار وعندمـا إنطفـأت النـار وجـدوه سـليماً يلعـب دون أن تمسـه النـار سـوى أثـر الدخـان عـلى ملابسـه، فأطلـق عليـه اسـم غـلام اللـه أو الغـلام المجُّمـر[13]. وهـذه الروايـة أقـرب إلى الأسـاطير التـي تحـاك لتضفـي عـلى صاحبهـا هالـة مـن القدسـية والمكانـة الدينيـة حيـث أن المجتمـع الدينـي كان يتقبـل مثـل هـذه الروايـات ،ويزعـم الطيـب محمـد الطيـب بـأن لقـب غـلام اللـه أطلقـه عليـه الدناقلـة، وهـذا اللقـب أشـبه في القيـاس بالاسـم الدنقـلاوي نقـد اللـه وتعنـي عبـد اللـه[14]. وهـذا الـرأي قـد جانبـه الصـواب- في إعتقـادي - حيـث أنـه بعيـد في القيـاس اللغـوي، وفي المشـهور مـن الأسـماء بدنقـلا، ويـرى سـمير محمـد عبيـد أن هـذا الاسـم كان معروفـاً في مـصر في العهـد المملـوكي قبـل ولادة غـلام اللـه، ولكـن لا يوجـد مـا يـدل عـلى أن هـذا الاسـم كان معروفـاً في السـودان قبـل غـلام اللـه بـن عايـد، وإن صـح هـذا القـول فـإن إطـلاق هـذا الاسـم أو اللقـب في تلـك الفـترة في مـصر لـه دلالـة عرقيـة وإجتماعيـة واضحـة[14].

ومـما سـبق وفي ظِـل تضـارب هـذه الرِّوايـات يشـكك ميرغنـي ديشـاب في وجـود غـلام اللـه أصـلاً[15]. ومـن المحتمـل أن لغـلام اللـه بـن عايـد صلـة بدنقـلا ، والـذي قادنـا إلى هـذا الإحتـمال هـو سرعـة تأقلمـه مـع الواقـع الإجتماعـي الجديـد بثقافتـه ولغتـه المختلفتين، وزواجـه بإمـرأة مـن نسـاء دنقـلا، وإن كنـت أظـن أن وجـود علـماء ديـن مسـلمين كأفـراد في دنقـلا كان أسـبق مـن قـدوم غـلام اللـه في نهايـة القـرن الخامـس عـشر الميـلادي، كـما سأشـير لاحقـاً، ولعـل هـذا مـا يجعلنـي أتسـاءل عـن سـبب ضعـف التأثـير العلمـي لغـلام اللـه في دنقـلا، وسـكوت المصـادر التاريخيـة عـن إسـتمرار خلوتـه، التـي مازالـت آثارهـا باقيـة إلى اليـوم في دنقـلا، وتقـع في المنخفـض الواقـع إلى الـشرق مـن القـصر الملـكي أو المبنـى(X) ولم يبقـى منهـا غـير الأساسـات [16]، وكذلـك يلاحـظ عـدم الترجمـة لتلاميـذه في كتـاب الطبقـات ماعـدا محمـد بـن عيـسى سـوار الدهـب، و يرجـع ذلـك في نظـري لأمريـن هـما:

الأول:- الخـلاف الـذي نشـب في دنقـلا بـين مريـدي وأبنـاء غـلام اللـه مـن جانـب وأبنـاء ومريـدي سـوار الدهـب مـن الجانـب الآخـر، وهـو موضـوع سـوف أُفصّلـه فيـما بعـد.

الثاني: إن غلام الله بن عايد ربما أتى إلى دنقلا طالباً للعلم ثم صار شيخاً لخلوة فيما بعد .

من الواضح أن الخلافات مع السواراب هي التي جعلت غلام الله أو سلالته من بعده إلى نقل نشاطهم العلمي والديني جنوباً إلى منطقة الدفار وديار الشايقية، ورغم أن غلام الله إشتهر لدي الكتاب والباحثين كأحد أهم رواد التعليم الديني في السودان، ولكن نلاحظ تجاهل صاحب الطبقات في الترجمة له، وكل ما أورده في سيرة غلام الله جاء في سياق الترجمة لإبنيه رباط وركاب [17] بإعتباره والدهما، وبرز من أحفاد رباط في مجال العلم والتصوف أولاد جابر وهم أربعة كما وصفهم صاحب الطبقات في ترجمة إبراهيم البولاد بن جابر: كالطبائع الأربع، أعلمهم إبراهيم وأصلحهم عبد الرحمن وأورعهم إسماعيل وأعبدهم عبد الرحيم، وأختهم فاطمة أم الشيخ صغيرون نظيرتهم في العلم والدين...[18]، وكذلك السادة الركابية الصغيروناب أبناء فاطمة وغيرهم من الذين يطول الحديث عنهم، مما قد يخرجنا عن الإطار المكاني الذي رسمناه لهذه الدراسة -وهو منطقة الدفار- لذا سنشير لأشهر خلاويهم في المنطقة حيث أورد صاحب الطبقات في ترجمة عبد الرحمن بن جابر: « ... وله ثلاث مساجد، مسجد في دار الشايقية ، ومسجد في كورتي ، ومسجد في الدفار...»[19]، وسبق أن تحدثنا عن مسجد الدُفّار في الفصل الأول، ونضيف هنا معلومة استقاها أحمد إبراهيم الشوك من مخطوط للبدوي محمد نافع موجود بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت الرقم 1/18/208 منوعات، تقول: « إن إبراهيم البولاد بن جابر قد وضع مسجداً بقرية ملك الدفار قصاد قنتي شرقاً ، وعند بناية المسجد وضع فيه خمس أعمدة حذواً بقواعد الإسلام، ولا تزال آثار المسجد موجودة بالدفار على مآثر مملكة البديرية ، وصار ملوك الشايقية يحضرون لإستماع الدروس والإشارات التي كانت توّجه إليهم من داخل المسجد»[20].

ومن خلاوي الركابية أيضاً خلوة الشيخ ود دوليب وهو الشيخ محمد بن الشيخ محمد الضرير بن إدريس بن دوليب بن حاج بن عبد الله بن ركاب بن السيد غلام الله ولد بدبة الفقراء ونشأ بها، ودرس في خلاوي البديرية ، وأسس خلوته بدبة الفقراء وجلس للتدريس فيها وكان مشتغلاً بتدريس العلم ومطالعة كتب الفقه والعلم منها شرح الأجهوري والخراشي، وكان ود دوليب ورعاً تقياً شجاعاً في قول الحق، توفي ود دوليب بدبة الفقراء وله قبر ظاهر يزار وتولى خلوته من بعده أولاده وأحفاده [21]، وسجل الرحالة كرومب (Kurmp) الذي مر بمنطقة دبة الفقراء سنة

(1701م) بعض الملاحظات حول حيران الخلاوي والطريقة المتبعة في تعليمهم ،ووصفهم بالمرابطين[22]، وكذلك خلوة حبيب نسي بقشابي - ونسي كلمة دنقلاوية نوبية تعني حفيد - وهو ابن رزين بن سليم بن رباط بن غلام الله ، وتخرج على يديه عدد كبير من العلماء والفقهاء، وتوفي حبيب نسي بأبي دوم قشابي ودفن به وله قبر ظاهر يزار[23]، وتولى أمر الخلوة بعده ابنه حاج حبيب الذي قام مقام أبيه حتى توفى ودفن مع والده وتولى الخلافة بعده محمد قيلي الذي درس في خلاوي جده ، وظل بقشابي حتى توفى ودفن فيها وقبره ظاهر يزار، ومن تلاميذ حبيب نسي المشهورين حسن ود بليل الذي عاد إلى مسقط رأسه العفاض وأسس بها خلوته وجلس للتدريس فيها، ونسبه حسن ود بليل بن الشيخ عبد الرازق بن سليم بن رباط بن غلام الله ، وظلت خلوته تؤدي دورها الديني والعلمي وتخرج العديد من العلماء، وتوفى الشيخ حسن بالعفاض ودفن فيها، وتولى أمر الخلوة بعده أولاده وأحفاده[24].

5- 2 خلاوي السواراب (البديرية):

إن بداية تاريخ التعليم الديني في دنقلا يحتاج إلى الكثير من البحث والدراسة رغم أن دنقلا كانت حاضرة المملكة النوبية المسيحية المتحدة وعايشت مرحلة التحول من الديانة المسيحية إلى الإسلامية، ومع ذلك أصبحت أحد المراكز المهمة في نشر الثقافة الإسلامية. ويمكن القول بأن البديرية، وهم من المجموعات العربية المتنوبة (الدنقلاوية) التي مثلت النخبة المتعلمة في دنقلا في فترة التحول التي أشرت إليها، هي المجموعة التي حملت لواء نشر التعليم والثقافة الإسلامية (راجع الفصل الثاني). ولعل أشهرهم في الروايات الشفهية المحلية شيخ صالح أو شيخ سالا- على حسب نطق الدناقلة _ وهو والد الشيخ عيسى الذي كان فقيهاً وقاضياً في دنقلا وجاء في كتابة الطبقات في ترجمة محمد بن عيسى سوار الدهب أنه تتلمذ على يد والده عيسى بن صالح البديري[25]، مما يشيء بأن ثمة وجود بوادر للتعليم الديني في دنقلا منذ فترة مبكرة.

ويعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الخلوة هو محمد بن عيسى بن صالح، والتي ربما كانت إمتداداً لخلوة والده، وأُمه هي السيدة آمنة بنت الشريف أحمد المشهور بحمد أبو دنانة[26]. وقد إشتهر محمد بن عيسى بن صالح بسوار الدهب ويرجع البعض سبب هذه التسمية إلى أن الشيخ محمد كان له زوجة من بنات ملوك الجان السبعة وكان لها سوار من الذهب فضاع منها وأخبرت والدها بذلك وذكر لها بأن السوار عند زوجك محمد فسألته: عن سوارها فأعطاها إياه لذلك سماه ملوك الجن

بسوار الذهب[27]، ولكني إعتقد أن لهذا اللقب صدى قديم في المنطقة إرتبط بأحد الألقاب الملكية بدنقلا، حيث كان ملوك دنقلا يُطّعِمون شاراتهم الملكية بالذهب. وقد تلقى سوار الذهب مبادئ تعليمه على يد والده ودرس الخليل، وبعد وفاته تتلمذ علي الشيخ محمد المصري، وقرأ العقائد والمنطق[28]. وقد إشتهر سوار الذهب بالعلم، وكان أهل دنقلا في زمانه يقولون في التمني: «اللهم أرزقني كرامات حبيبي نسي وعبادة دوليب نسي وعلم ود عيسى»[29]، وورد أيضاً أن مفاضلة بينه وبين الشيخ سوار الذهب قد حدثت عند والي الحلفاية في زمن السميح وإختلفوا في ذلك، فأرسل إلى الشيخ دفع الله لأشتهاره بالعلم ليحكم في هذا الموضوع فقال له: «هذا ولي ولكن الشيخ محمد سوار الذهب جاب علوم القرآن في الجزيرة وعلم التوحيد وسلك في الطريق وأرشد... فهو أفضل من غيره»[30]. ويبدو أن هناك خلطاً قد وقع في كتاب الطبقات بين عيسى بن محمد سوار الذهب وعيسى بن صالح والد سوار الذهب، حيث جاء في ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن جابر أن الشيخ عيسى بن الشيخ محمد بن عيسى سوار الذهب تتلمذ على يديه[31]. وهذا يبدو معقولاً من خلال السياق التاريخي للأحداث، أما ما جاء في ترجمة الشيخ عيسى بن صالح البديري أنه تفقه على الشيخ عبد الرحمن بن جابر[32] قد جانبه الصواب لأن الفترة الزمنية طويلة،-كما بينت سابقا-.

ومن خلال مقارنة بعض التواريخ والأحداث المذكورة يمكن تصور تاريخ تقريبي لنشأة خلوة سوار الذهب في دنقلا علي النحو التالي:

أولاً: قدم غلام بن عايد إلى دنقلا، وتتلمذ على يديه سوار الذهب، أي في نهايات القرن الخامس عشر الميلادي، أو بدايات القرن السادس عشر الميلادي.

ثانياً: تلقى أيضاً سوار الذهب، كما أشرنا بعض العلوم الدينية الدينية على محمد المصري الذي قدم إلى بلاد الفونج في بواكير النصف الثاني للقرن السادس عشر الميلادي[33].

مما سبق نُرجّح أن خلوة سوار الذهب كانت موجودة في النصف الثاني للقرن السادس عشر الميلادي أو قبله، وربما وضع اللبِّنات الأولى لهذه الخلوة الشيخ عيسى بن صالح، وتزعم بعض الروايات أن الغلامية (نسبة لغلام الله بن عايد حسب تعبير الرواة) أرادوا إبعاده عن دنقلا بعدَ ذِيوع صيته فشَكَوّه إلى ملك دنقلا آنذاك حسن كُشكش الذي نفاه إلى جزيرة بدين. وعندما تعرضت المنطقة للمجاعة طلب منه السكان إرجاع سوار الذهب لإعتقادهم في صلاحه وكرامته فعفى عنه وزوَّجه إحدى

بناته وأنجب منها إبنه الأصغر حلالي المشهور بساتي حلالي - وساتي كلمة دنقلاوية نوبية الأصل كانت تستخدم في السابق كلقب ديني، وفي الفترة الإسلامية أستخدمت بمعني شيخ دين - وإستقر سوار الدهب في دنقلا وواصل في التعليم الديني وجمع فيه بين العلوم الدينية والتصوف، ولعل السبب في ذلك أن السكان كانوا يميلون إلى التصوف لبساطة منهجه وإعتمادهم على التلقين والذكر وإستعمال الطبول والترانيم[34]، التي إعتادوا عليها، وكان للشيخ سوار الدهب مكانة دينية مرموقة وله تلاميذ (وحيران) كُثر يتوسمون فيه الولاية والصلاح ويهرعون إليه في المُلمات وأوقات الشدة، ومما يدل على سمو مكانته أن الملك بادي بن رباط منحه عهد الأمان ولجميع تلاميذه وأعفى أراضيه من الضرائب والعشور[35] وأصبحت دنقلا قبلة للعلماء وطلاب العلم وذلك واضح من كثرة القباب والعمارة الدينية.

أشهر تلاميذ سوار الدهب:

إمتد نفوذ سوار الدهب العلمي والديني الي مناطق واسعة من السودان وذلك بسبب السياسة التي إتبعها حيث كان يُوجِه تلاميذه إلى الإنتشار في مختلف بقاع السودان لتعليم الناس أمور دينهم وإنشاء الخلاوي، ومن أشهر تلاميذه:

- حسين أبو شعر شيخ أولاد بري، وجاء ذكره في ترجمة الشيخ ابراهيم ولد بري[36].
- بقدوش بن سرور الجموعي أخذ العلم من الشيخ سوار الدهب وولّاه الشيخ عجيب الكبير القضاء وحارب معه[37].
- عيسى ولد كنو أصله حضرمي ولد بدنقلا العجوز ودرس القرآن وأحكامه على يد سوار الدهب ثم إنتقل إلى حفير مشو [38]، وتزعم بعض الروايات أن عيسى قدم من اليمن وذهب إلى مدينة كنو النيجيرية ثم عاد ودخل دنقلا[39]. وربما الذي أدى إلى إضطراب هذه الروايات هو إسم كنو. والملاحظ وجود إسم مشابه له ومتداول حتى الآن في منطقة دنقلا وهو كونا (كُنة) ويعنى الصغير. وينسب إلى عيسى أنه أدخل رواية ورش التي يقرأ بها أهل شمال دنقلا والمحس إلى أرض (بطن) الحجر[40]، ومن تلامذته في تجويد القرآن الشيخ عبد الرحمن الأغبش والفقيه ضو البيت وفضل الدنقلاوي.
- عبد الله الأغبش البديري الدهمشي ولد ببربر وحفظ القرآن على يد سوار الدهب وسبب لقبه بالأغبش أنه عند قراءته مختصر خليل عند جابر كسفت الشمس، فصلى بالناس صلاة الكسوف قرأ فيها سورتي البقرة وآل عمران جهراً فأنجلت الشمس فقال أحد ملوك الشايقية: «نعم أهل الغبشة»، فالتصق به هذا

الإسم منذ ذلك الوقت، وأسس عبد الله خلوة ببربر وتخرج على يديه عدد كبير من الطلاب وتوفى في بربر وله قبر يُزار[41].

- عووضة بن عمر شكَّال القارح، ولد بدنقلا العجوز وأصله حضرمي أخذ الطريق على يد الشيخ موسى فريد حوار الشيخ حسن ولد حسونة، وبعد وفاته رافق الشيخ سوار الدهب وأشتهر بالكرم وكان صاحب كرامات، توفى بدنقلا العجوز وله قبر يزار حتى الآن[42].
- عبد الرحمن بن إبراهيم ولد أبو مُلاح والد الحاج خوجلي، ولد بدبة عنتار جهة سلامة الباشا وشمبات هرب وهو صغير إلى الشيخ سوار الدهب فحفظ القرآن وأحكامه وتعلم اللغة العربية ثم سافر إلى مصر وأجازه الشيخ الأجهوري شيخ الإسلام بمصر في مختصر خليل ومنظومته في التجويد[43].
- عبد الرحيم ابن الشيخ عبد الله العركي المشهور بإبن الخطوة تتلمذ على يد الشيخ سوار الدهب وسلك الطريق وأرشده[44].
- حمد بن حسن أبو حليمة ابن الفقيه قش بن الفقيه الركابي جمع بين العلم والعمل تتلمذ على الشيخ سوار الدهب كان له حظوة عند الشيخ عجيب الكبير ولد في أم شراو وهي قريته وتقع شمال الكدرو وتوفى ودفن بها وقبره ظاهر يزار[45].
- حلاوى العامري هو محمد بن جمال الدين الحجّابي ولد بالكامنين(الكاملين) وتفقه على الشيخ سوار الدهب ثم سافر إلى مصر وكان فقيهاً حكيماً، إستقر بقوز العلم بشندي عندما جاءها طالباً للعلم. وتوفى ودفن بالقويز بالقرب من أبو جويلي غرب الحصاحيصا في دار الحلاويين عن عمر ناهز المائة بكثير[46].
- جاء في ترجمة أبو سنينة وهو محمد بن نصر الترجمي وأبوه نصر قرأ القرآن وأحكامه على الشيخ سوار الدهب، والذي أشار له بزواج أم سنينة وأهلها من دنقلا سافروا إلى البويضة بأرض الأبواب، وتنبأ له سوار الدهب بأن إبنه منها سيكون صالحاً مشابهاً له في العلم، وكانت حلقة إبنه أبو سنينة في أربجي قد بلغت ألف طالب وقرأ عليه القرآن عدد كبير من التلاميذ وصفهم صاحب الطبقات بأنهم «لا يحصون»[47].
- المكي النحّوي الرباطابي أخذ العلم من الشيخ محمد المصري وأخذ جميع الفنون ثم سافر إلى الشيخ سوار الدهب وأخذ عليه الفنون ثانياً، ودرس العلم عند الزيداب في جرف عجيب، وسكن المنسى إحدى قرى الجزيرة شمال غرب المناقل،

وتــوفي بهــا، وتخــرج عــلى يديــه تلاميــذ كُــثر منهــم الشــيخ مــوسى ولــد يعقــوب أبــو قُصــة، الشريــف عبــد الرحمــن، الفقيــه حامــد اللَّــين، ويوســف فُرفُــر والفقيــه حمّيــد الصــاردي[48].

خلفاء سوار الدهب:

تشـير الروايـات الشـفاهية في منطقـة دنقـلا (العجـوز) أنـه بعـد وفـاة الشـيخ سـوار الدهــب تنــازع أبنــاؤه عــلى تــولي أمــر خلــوة والدهــم، إلا أن صاحــب الطبقــات ذكــر في ترجمــة حــلالي بــن ســوار الدهــب وامــه بنــت ملــك دنقــلا حســن كُشــكش أن كان صغــيراً أثنــاء إحتضــار والــده، فقالــت لــه زوجتــه:»، أولادك الكبــار أرشــدتهم وولــدي مــن يرشــده؟ قــال لهــا: عليــك بالحـضري (عووضــة شــكال القــارح)»، وبعــد مــوت ســوار الدهــب ذهبــت لشــيخ عووضــة وقدمــت لــه أُســورتها وحجولهــا فأجلــس إبنهــا حــلالي مــكان والــده شــيخاً للخلــوة، وبلــغ حــلالي مبلغــاً في العلــم والديــن والصــلاح وصــار مثــل والــده، وفــاق جميــع أخوانــه، وتــولى القضــاء، وحكــم بالمتفــق عليــه والقــوي مــن الخــلاف، وكان ميّــالاً للصلــح[49]. وكذلــك أشــار في شــئ مــن الإضطــراب في ترجمــة زيــادة بــن النــور بــن ســوار الدهــب « وكان عظيــم الشــأن وهــو خليفــة الشــيخ محمــد (جــده ســوار الدهــب) عــلى نــار القــرآن» فــإن خلفــاء الشــيخ أثنــان: الكبــير موقــد نارالعلــم وعنــده القضــاء. والفقيــه زيــادة حظــى حظــا الخليفــة ماذاقــه إلا عمــه حــلالي... وتــوفي بضنقلــة (دنقــلا العجــوز) وقــبره ظاهــر ويــزار ... وجلــس بعــده للتدريــس أحمــد ولــده. وزاد عــلى أبيــه في الحــظ والهيبــة والغنــى... تــوفي بضنقلــة (بدنقــلا العجــوز) أيضــاً وولــده محمــد بــن عيــسى قــام مقامــه في كل شــئ إلى خــراب البلــد»[50]، مــن جانــب اخــر ويفــسر صاحــب الطبقــات الــثراء الــذي كان عليــه أحفــاد ســوار الدهــب وكــثرة تلاميذهــم نتيجــة لإســتفادتهم مــن الإعفــاء الضريبــى الــذي مُنــح لســوار الدهــب، ولمــن يتعلــم ويقــرأ عــلى يــده، ومــن جمــع الــزكاة وهبــات المريديــن، ودعــم بعــض الســلاطين لهــم حيــث ذكــر أن الملــك دكــين بــن نايــل أرســل إليــه خمســين رأســاً مــن الرقيــق.

ويبــدو أن بعــض روايــات أسرة ســوار الدهــب بدنقــلا تبــين لنــا مــا حــدث بصــورة أوضــح وتقــول: بعــد وفــاة الشــيخ ســوار الدهــب خلفــه عيــسى ولــد كنــو شــيخاً للخلــوة وتــولى التدريــس، وكان ســوار الدهــب قــد تــرك عنــد شــيخ عووضــة شــكال القــارح أمانــة بيعــة الطريقــة إلا أن خلافــاً حــدث حــول خلافــة الطريقــة بــين أبنــاء ســوار الدهــب وذلــك عندمــا أصّرت والــدة ســاتي حــلالي (بنــت الملــك حســن كشــكش) عــلى الشــيخ عووضــة بــأن يجعــل إبنهــا حــلالي مــكان أبيــه ســوار الدهــب، ولكنــه لم يســتجب لطلبهــا وأعطــى الأمانــة لزيــادة بــن النــور بــن ســوار الدهــب عــلى حســب الأمــارة المتعــارف عليهــا بــين

المتصوفة والتي ذكرها له سوار الدهب، وبذلك أصبح خليفته وشيخاً خلفاً لجده وأنشأ خلوة أخرى إلى الجنوب من خلوة جده التي استولى عليها حلالي وبذا أصبحت بدنقلا خلوتان، هما: خلوة الحلالاب والزياداب، ما زالت آثارهما باقية إلى اليوم، تقع خلوة (مسيد) سوار الدهب وسط مساكن الحلالاب أحفاد إبنه الأصغر ساتي حلالي (الذي خلف والده) جنوب القصر الملكي أو المبنى (X)، ولا تزال الخلوة بحالة جيدة مشيدة من الطوب اللبن والأحمر، أما الواجهة الشرقية فهي مشيدة من الطوب الأحمر، ومن الواضح أنه تم تجديد أو صيانة هذه الواجهة في فترة متأخرة نسبياً، والمبنى مسقوف من شجر الدوم والسنط وجريد وسعف النخيل ومضفور بالطوب الأحمر، ويبلغ إرتفاع المبنى حوالي(3) متر، ويوجد به مجموعة من الأعمدة بعضها من الخشب وأخرى مبنية من الطوب الأحمر واللّبن والباب بالناحية الجنوبية الشرقية بعرض (2)متر وإرتفاع متر ونصف و هو مصنوع من الحديد، ويبدو أنه أستخدم حديثاً، ويوجد بالمبنى غرفة أخرى مربعة الأضلاع (3×3متر) بباب ضيق وقصير، وبهذه الغرفة مناور مع مدخل آخر بالجهة الشمالية، وهي خلوة خاصة للشيخ ويلاحظ وجود هذه الغرفة في معظم المباني الإسلامية بالموقع وخاصة الخلاوى، وجوار هذه الخلوة خلوة زيادة وسط منازل الزياداب، والملاحظ أن هذه الخلاوى لا تزال مزارات للأهل والأحفاد والمريدين في المناسبات الدينية والأعياد[51]، ويذكر أبوبكر الخليفة محمد زيادة أن ساتي حلالي تولى القضاء ولم يصبح شيخاً للخلوة [52] (صورة رقم (16)).



صورة رقم (16) توضح جانبا من خلوة الحلالاب
(تصوير الباحث)

أصبحت دنقلا أو الصُّلاح (بضم وتشديد الصاد، جمع صالح)، كما يطلق عليها الأهالي، وذلك لكثرة مقابر وقباب العلماء والصالحين وأصحاب الكرامات بها، أحد أهم المراكز العلمية والدينية في السودان، ونار القرآن لم تنطفئ جذوتها في خلاوي دنقلا إلى فترات متأخرة ترجع إلى أواسط القرن العشرين، ولعل آخر الشيوخ هو الخليفة محمد زيادة ميرغني[53]، كما تجب هنا الإشارة إلى أن الروايات الشفهية تذكر أن للشيخ عووضة شكال القارح خلوة، أقام خلوة شرق خلوة غلام الله بن عايد وأصبحت فيما بعد ضريح لساتي محمد عيسى بن (سوار الدهب) وعدد من المشايخ [54] ، وغيرها من الخلاوى الأخرى ، التي انتشرت في مختلف بقاع السودان، ومن أشهر خلاوي البديرية

خارج مدينة دنقلا العجوز وداخل النطاق الجغرافي للدراسة هي خلوة الحاج بلال البديري الدهمشي في الغريبة سنة (888هـ) ثم تابع أمر الخلوة بعد وفاته أولاده وأحفاده [55].

5- 3 خلاوي أخرى:

سنتناول في هذا المبحث نماذج لبعض الخلاوي في المنطقة لشهرتها الكبيرة ولتأثيرها الواضح والكبير في حياة السكان، وربما كانت بعضها من أقدم خلاوي السودان، ومنها خلاوي البلياب وينتسبون إلى أحمد البيلي - أشرنا له في الفصل الثالث - والتي أسسها عووضة ابن أحمد بيلي المولود عام (1040هـ/1631م) في جزيرة التُلنُباب شرق تنقاسي وتلقى تعليمه في خلوة والده، وفي رواية أخرى في خلاوي أولاد جابر ، وصار سائحاً بقرآنه في المنطقة حتى استقر به المقام في فقيرنكتي وأسس بها خلوة على ضفاف النيل وعندما كبر الشيخ عووضة في عمره وضعف بصره خشي عليه ابنه على الحاس من خطر التحرك وسط الجداول في الأراضي الزراعية فنقل خلوته بعيداً عن النيل ، وتوفى الشيخ عووضة عام (1130هـ/ 1718م).[56]

ومن أقدم الخلاوي في السودان ،-وقيل إنها قبل خلوة غلام الله- خلوة حاج بلول بن أحمد بمنطقة عرب نارتي بالغابة -غرب دنقلا- الذي كان له مصحف أكمل كتابته سنة 871هـ[57]، وينتهي نسبه إلى بني هلال، وكان جدهم قدم من الحجاز، وما زال نسله موجودين الان بالغابة(صورة رقم (17،18) -وثيقة رقم (2)) .



صورة رقم (17)توضح لوحة بها تاريخ تأسيس مسجد حاج بلول
(تصوير الباحث)



صورة رقم (18) بقايا خلوة حاج بلول بعربنارتي (الغابة)
(تصوير الباحث)



وثيقة رقم (2) توضح نسب حاج بلول
(تصوير الباحث)

وكذلك إشتهرت خلوة الشيخ حمد ود نانة في جزيرة تنقسي من بين خلاوي المنطقة والتي تأسست في أوائل القرن العاشر الهجري على يد الشريف حمد الشهير بأبي دنانة بن الشريف أحمد بن الشريف أكبر وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن على، قدم إلى منطقة تنقسي من مصر وأوقد نار القرآن وجلس لتدريس العلم وتحفيظ القرآن وإنتفع به عدد كبير من الناس وظل بتنقسي حتى وافته المنية بها سنة (960هـ) ودفن بدنقلا العجوز وتولى أمر الخلوة بعده إبنه الشريف حسن، وإرتبطت شهرة الشيخ حمد ببناته السبعة اللائي أنجبن أهم سبعة مشايخ في السودان في تلك الفترة - على حسب رواية مشهورة - وهن:

(1)آمنة أو أمونة والدة اليخ محمد عيسى سوار الذهب.
(2)حليمة والدة الشيخ عبدالله اللأغبش البديري.
(3)هدية والدة الشيخ عمر ود بلاد جد العمراب الجعليين.
(4)رابعة والدة اليخ شرف الدين بن فكرون (رجل أنقادي) وجد المشايخة الشرفديناب.
(5)عائشة والدة الشيخ عجيب المانجلك.
(6)مكة والدة الشيخ محمد ود عبد الصادق الركابي ساكن المندرة.
(7)فاطمة والدة الشيخ إدريس ود الأرباب[58].

الخاتمة:

مـن خـلال هـذه القـراءة السريعـة للتعليـم الدينـي في منطقـة الدفـار نلاحـظ الـدور الكبـير الـذي لعبتـه مدينـة دنقـلا (العجـوز) نـشر الثقافـة الإسـلامية والعربيـة.

إن أول ملـك مسـلم في السـودان تربّـع عـلى عـرش دنقـلا في الربـع الأول مـن القـرن الرابـع عـشر الميـلادي وهـو سـيف الديـن عبـد اللـه برشـمبو الـذي تنسـب إليـه بعـض الروايـات، إنشـاء أول خلـوة لتعليـم القـرآن والمعروفـة باسـم خلـوة عبـد اللـه، كـما أن أول الشـيوخ الذيـن ورد ذكرهـم هـو شـيخ صالـح أو سـالا وقـبره بالضفـة الغربيـة لمدينـة دنقـلا العجـوز (الغابـة) وهـو والـد الشـيخ عيـسى الفقيـه والقـاضي بدنقـلا العجـوز، مـن أوائـل الشـيوخ الذيـن إبتـدروا التعليـم الدينـي في دنقـلا، وتزامـن عهـده مـع قـدوم غـلام اللـه بـن عايـد دنقـلا في نهايـات القـرن الخامـس عـشر الميـلادي أو بدايـات القـرن السـادس عـشر الميـلادي.

إن أهــم خلــوة في دنقــلا أثــرت الحيــاة العلميــة والدينيــة في مختلــف ربــوع السـودان هـي خلـوة سـوار الذهـب وأبنـاءه مـن بعـده والتـي يعـود تأسيسـها عـلى الأرجـح إلى أواسـط القـرن السـادس عـشر الميـلادي، وتخـرج فيهـا أفـذاذ العلـماء ورجـال الديـن، مـع وجـود بعـض الخـلاوى الأخـرى مثـل خلـوة غـلام اللـه بـن عايـد، أحـد أهـم رجـال الديـن في السـودان، وربمـا كان للـصراع الـذي دار بينـه وبـين السـواراب البديريـة في دنقـلا أثـر كبـير في نقـل أحفـاده لنشـاطهم الدينـي والتعليمـي جنوبـاً، ومثلـوا أهـم المراكـز التعليميـة في منطقـة النفـوذ السـياسي لإمـارة الدفـار الإسـلامية الواقعـة جنـوب دنقـلا (العجـوز).

ومجمـل القـول في موضـوع التعليـم الدينـي في منطقـة الدفـار أن هنـاك أسرتـان أساسـيتان وقـع عـلى كاهلهـما عـبء القيـام بأمـر التعليـم الدينـي وهـما: أحفـاد غـلام اللـه بـن عائـد الذيـن أشـتهروا باسـم الركابيـة، والثانيـة: البديريـة (السـواراب)- إلى جانـب بعـض الأسر مثل البليـاب - وقـد امتـد دور هاتـين الأسرتـين خـارج حـدود منطقـة الدفـار إلى جميـع أنحـاء السـودان وكان لهـما الأثـر الكبـير والمهـم في نـشر الثقافـة الإسـلامية والعربيـة في السـودان ، وأنتـشرت خـلاوي هاتـين الأسرتـين في معظـم أقاليـم السـودان، ولاننـا حصرنـا موضـوع هـذا الدراسـة داخـل الإطـار المـكاني لمنطقـة لم نتطـرق لهـذه الخـلاوي .

هوامش وحواشي الفصل الرابع:

(1) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: احمد المعتصم الحاج، «الخلوة وأثرها الثقافي والإجتماعي في السودان من القرن 16 وحتى نهاية القرن 19»، مجلة محاور، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، ع3، أغسطس، 1999م).

(2) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: عوض شبّا، دنقلا والدناقلة، ط2، (الخرطوم، 2008م).

(3) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع: راجع وليامز آدمز، النوبة رواق أفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، ط2 (القاهرة: 2005م).

(4) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: عبد الله الطيب، هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ، ط2، (الخرطوم: مؤسسة العلامة عبد الله الطيب الخيرية، 2015م.

(5) المقريزي (ت 845هـ/ 1445م)، أحمد على، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، الخرطوم: مطبعة جامعة القاهرة ، بالخرطوم، 1972م)، ص 277.

(6) عوض شبًّا، الإسلام في دنقلا.. مدخل لدراسة تاريخ الإسلام في السودان، ط1(الخرطوم، 2010م) ، ص 52 – 54.

(7) ابن ضيف الله ، المرجع السابق ، ص 40.

(8) الطيب محمد الطيب، المسيد (الخرطوم: هيئة الخرطوم للطباعة والنشر، كتاب الخرطوم (21)، 2010م)، ص 376.

(9) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: سمير محمد عبيد نقد ، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م).

(10) ابن ضيف الله ، المرجع السابق ، ص 215.

(11) شبّا، المرجع السابق ، 2010م، ص 37.

(12) الطيب محمد الطيب ، المرجع السابق ، ص 90.

(13) نفس المرجع، ص 90-91.

(14) سمير محمد نقد، المرجع السابق، ص 90.

(15) ميرغني ديشاب ، تاريخ الإسلام في دنقلا ، كتاب غير منشور.

(16) شبا، المرجع السابق، 2010م ص 56.

(17) ابن ضيف الله ، المرجع السابق ، ص 215.

(18) نفس المرجع ، ص 45.

(19) نفس المرجع ، ص 251.

(20) أحمد إبراهيم الشوك ، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان، موقع سودانايل، شبكة الإنترنت.

(21) فاطمة أحمد على ، رجال الخلاوي في السودان، ج1 ، (الخرطوم: دار البلد، 2001م) ، ص 56-57.

(22) أو - جي كروفورد ، المرجع السابق ، ص 261.

(23) فاطمة أحمد على ، المرجع السابق ، ص 83-84.

(24) نفس المرجع ، ص 85-86.

(25) ابن ضيف الله ، المرجع السابق ، ص 247.

(26) محمد سعيد أحمد عبد الله ، من تاريخ منطقة دنقلا (الخرطوم: 1987م) بحث مطبوع بالآلة الكاتبة، ص 48.

(27) نفس المرجع، ص 48-49.

(28) ابن ضيف الله ، المصدر السابق ، ص 254.

(29) نفسه ، ص 154.

(30) نفسه ، ص 296.

(31) نفسه ، ص 151.

(32) نفسه ، ص 272.

(33) نفسه ، ص 100.

(34) عوض شبّا ، المرجع السابق ، 2010م، ص 42.

(35) ابن ضيف الله ، المصدر السابق ، ص 247.

(36) نفسه ، ص 17.

(37) نفسه ، ص 125.

(38) نفسه ، ص 278.

(39) فاطمة أحمد على ، المرجع السابق، ص 67.

(40) نفس المرجع ، ص 68.

(41) ابن ضيف الله ، المصدر السابق ، ص 279.

(42) نفسه ، ص 272 - 277.

(43) نفسه ، ص 257-258.

(44) نفسه ، ص 258-259.

(45) نفسه ، ص 150-151.

(46) نفسه ، ص 183-185.

(47) نفسه ، ص 89-90.

(48) نفسه ، ص 103-104.

(49) نفسه ، ص 182-183.

(50) نفسه ، ص 227.

(51) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع، راجع: شبّا، المرجع السابق، 2010م، ص 56 – 57.

(52) أبوبكر الخليفة محمد زيادة، دنقلا العجوز (القدار) ، إتصال هاتفي، بتاريخ 3 مايو/ 2015م.

(53) نفس الراوي.

(54) شبّا ، المرجع السابق ، 2010م، ص 56.

(55) الطيب محمد الطيب ، المرجع السابق ، ص 182-189.

(56) لمزيد من التفاصيل، راجع: حمد عبد الرحمن حمد البيلي، المرجع السابق.

(57) الطيب محمد الطيب ، المرجع السابق ، ص 132.

(58) فاطمة أحمد على ، المرجع السابق ، ص 40-46.

الخاتمة

يقف الكاتب حائراً في خاتمة هذا الكتاب ليقول كلمته الأخيرة وخلاصة النتائج التي توصل إليها من خلال بحثه عن هذه الفترة التي أعقبت إنهيار المؤسسة الملكية النوبية لمملكة المقرة والتي صاحبتها أيضاً إنهيار المؤسسة الكنسية الدينية، وحدثت تحولات إجتماعية وثقافية كبيرة شكلت القاعدة الإجتماعية والثقافية لسودان اليوم.

إن سبب الحيرة التي وقع فيها الكاتب غموض هذه الفترة وتداخل موضوعاته، أضف إلى ذلك أن النطاق الجغرافي لموضوع الدراسة والتي أطلق عليه اسم منطقة الدُفّار، هي من أكثر المناطق التي شهدت تفاعلاً ثقافياً واجتماعياً كبيراً في فترة التحولات هذه وكانت إحدى مراكزها الطلائعية والمؤثرة ،وربما مردّ ذلك إلى قربها من عاصمة مملكة المقرة دنقلا فهي تمثل الإمتداد الجنوبي لها، لذا فإن الكتاب طرح العديد من التساؤلات حول العديد من القضايا التاريخية الشائكة والمتعلقة بهذه الفترة، ثم حاول الإجابة عنها بتقديم بعض الإضاءات الأولية علها تكون معيناً للباحثين في هذه الفترة، في سلسلة من الكتب بعنوان رئيسي باسم: (خلفاء مملكة المقرة) وهذا الكتاب الذي بين يديك هو الكتاب الثاني في هذه السلسلة، وسوف يعقبها كتاب ثالث يتناول السلالات الملكية لملوك مملكة المقرة في دنقلا (العجوز).

وخلاصة القول فيما عرضناه في ثنايا هذا الكتاب أن هناك عدة عوامل داخلية وخارجية ساهمت في ضعف وتدهور مملكة المقرة منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، من أهمها صراع إمرائها على السلطة، وتعرضها لضغط المماليك والجماعات العربية القادمة من مصر، والتي كانت أحد عوامل نشر الإسلام في بلاد النوبة، الذي حل تدريجياً مكان الدين المسيحي، وهذا الوضع الجديد كان له أثر كبير في حدوث تغييرات سياسية وإجتماعية أدت إلى إنقسام المملكة إلى كيانات سياسية صغيرة، وهي - في الغالب- ذات المراكز الإدارية القديمة للمملكة والتي كانت في شكل ممالك صغيرة شبه مستقلة تتبع للأسرة الحاكمة في دنقلا، وكانت نحو ثلاثة عشرة مركزا، وعندما بدأت مملكة المقرة في الضعف والتدهور، أخذت هذه المراكز في الإستقلال تدريجياً وأصبحت كيانات سياسية مستقلة كل على حسب ظروفها السياسية والإقتصادية والثقافية، ومن بينها مركز الدُفّار، التي أشتهرت في المرويّات السودانية بمملكة الدفار أو مملكة البديرية.

أما الدُفّار-كموقع ومكان- كانت مستوطنة قديمة، وحصن منيع، ومن المراكز الأولى والمهمة لمملكة المقرة المسيحية، وكذلك شهد موقع الدُفّار الإستيطان الإسلامي

المبكـر عـلى حسـب بعـض البيّنـات الأثريـة، ولعـب دوراً سياسـياً مهـماً في الفـترة المتأخـرة مـن تاريـخ الممالـك النوبيـة، -ناقشـنا هـذا الـدور مـن خـلال الفرضيـة التـي طرحناهـا حـول جعـل الدُفّـار -، ثـم بـرز دورهـا بصـورة واضحـة كأولي الإمـارات الإسـلامية التـي أسسـها البديريـة لتصبـح نـواة أول دولـة دينيـة في السـودان، حتـى تفككـت وإنهـارت قبيـل الغـزو الـتركي الألبـاني للسـودان عـام (1821م) بسـبب الخلافـات والإنقسـامات الداخليـة والصراعات مـع المكونـات السياسـية الأخـرى والمتمثلـة في مكـوك الشـايقية مـن الناحيـة الجنوبيـة، مـما أدى إلى هجـرة بعـض أفـراد الأسرة الحاكمـة إلى مناطـق أخـرى.

شـكل المكـون الإجتماعـي للدُفّـار عـدة مجموعـات أسريـة مـن أهمهـا مجموعـة المقـاودة (المقابـدة)، وهـي مـن المجموعـات القديمـة في المنطقـة، والتـي تصاهـرت مـع البديريـة، وكذلـك الركابيـة والبليّـاب، التـي إختلطـت هـذه المجموعـات عـن طريـق التـزاوج مـع إحتفـاظ كل مجموعـة بخصوصيتهـا النسـبية، كـما هنـاك بعـض المجموعـات التـي لم تنصهـر في النسـيج الإجتماعـي للمنطقـة وكان لهـا دور كبـير في الحيـاة الإقتصاديـة والإداريـة مثـل الفونـج - تناولنـا جانبـاً مـن تاريخهـم في كتابنـا الأول - والملاحـظ أن هنـاك أسرتـان أو مجموعتـان نشـطتا في مجـال التعليـم الدينـي عـلى مسـتوى المنطقـة والسـودان بصـورة عامـة وهـما أسرة السـواراب البديريـة، والركابيـة أحفـاد غـلام اللـه بـن عايـد ، وتعتـبر جهـود هاتـان الأسرتـان وغيرهـا مـن الجهـود -أشرنـا اليهـا في الفصـل الخامـس- هـي الدعامـة الأساسـية لنـشر التعليـم الدينـي والثقافـة الإسـلامية في جميـع أنحـاء السـودان، وهـو مـن أبـرز المظاهـر الحضاريـة لخلفـاء مملكـة المقـرة.

المصادر والمراجع

(1) ابن سليم الأسواني (ت 386هـ/996م)، عبد الله بن أحمد بن سليم، كتاب النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية العربية ، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة، بتاريخ السودان في العصور الوسطى، (الخرطوم: من مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972م).
(2) أبو بكر الخليفة محمد زيادة، دنقلا العجوز (القدار) ، إتصال هاتفي، بتاريخ 3 مايو/ 2015م.
(3) أحمد إبراهيم أبوشوك، العمدة أحمد عمر كمبال (1915-1995م)، ملامح من تاريخ كورتي وشذرات من تاريخ الرجل، (الخرطوم: مدارك للطباعة والنشر والخدمات، 2016م).
(4) ابراهيم أبنعوف، أستاذ جامعي، 65 عاماً تقريباً، مقابلة بمكتبه، جامعة الخرطوم، بتاريخ 2016/11/7م.
(5) أحمد إبراهيم الشوك ، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان، موقع سودانايل، شبكة الإنترنت.
(6) احمد المعتصم الحاج، «الخلوة وأثرها الثقافي والإجتماعي في السودان من القرن 16 وحتى نهاية القرن 19»، مجلة محاور، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، ع3، أغسطس، 1999م).
(7) أحمد المعتصم الشيخ، مملكة الأبواب المسيحية وزمن العنج، (القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2002م).
(8) أحمد بن المشهور بالنبر، كراس النسب المخطوط محفوظ ضمن وثائق العباسية، دار الوثائق القومية الخرطوم، نقلاً عن: أحمد المعتصم الشيخ، «حاشية ومستخلص من زيارة روبيني للسودان» ، مقال غير منشور.
(9) أحمد عبد الرحيم نصر، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، ط2، (الخرطوم: الأمانة العامة لمشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية (1438هـ /2017م)، سلسلة كتاب سنار(21).
(10) أزهري سعيد إدريس سيد احمد، موظف بالمعاش، 65 عام، مقابلة بالحاج يوسف الخرطوم بتاريخ 2016/10/21م.
(11) الأمين عثمان شعيب الحاج، « لمحة تاريخية عن مملكة الدُفار الإسلامية»، جامعة إفريقيا العالمية، 2017م.
(12) بدوى محمد موسى بلال، موظف ومزارع بالمعاش، 75 عام، مقابلة شخصية بقرية المقاودة، بتاريخ 2016/8/13م .

(13) حسام الدين محمد محمد أحمد وآخرون، المسح الفلكلوري على الضفة الغربية للنيل ما بين منصوركتي وحسين نارتي، 2015م.
(14) حسن بابكر عبد الحفيظ، مقابلة بمنزله بالعمارات، الخرطوم، بروفيسير في علم النفس، مهتم بتاريخ منطقة الدُفار، 80 عام تقريباً، بتاريخ 2017/5/7م.
(15) حليمة كية ، متقاعدة في المنزل ، 120 عاماً تقريباً ، مقابلة بمنزلها ، قرية المقاودة ، بتاريخ 2009/10/21م.
(16) حمد عبد الرحمن حمد البيلي، سلف البيلاب وأصهارهم من أعيان العرب، ط1، (الخرطوم: 2009م).
(17) خالد سر الختم سيد احمد (بروفيسر)، أستاذ جامعي بالمعاش 72 عام، مقابله بمنزله بالخرطوم بري، يوم الأربعاء 2016/7/23م .
(18) س. هيللسون ، «داؤود روبيني من الأوائل لسنار»، السودان في رسائل ومدونات، ع 15، 1933م، ترجمة: أحمد المعتصم الشيخ، مقال غير منشور، ص3.
(19) سبنسر ترمنجهام، الإسلام في السودان، ترجمة فؤاد عكود، 2001م.
(20) سليمان ، نزار النور على باحث وأكاديمي، 65 عاماً، مقابلة، مكتبة وزارة التعليم العالي، الخرطوم بتاريخ 2016/10/31م
(21) سمير محمد عبيد نقد ، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م).
(22) سمير محمد عبيد نقد، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان، (الخرطوم، دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م).
(23) سوسن حسين حماد، آثار مملكة الدُفار، بحث تخرج لنيل مرتبة الشرف، بكالريوس، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2017م.
(24) الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1972م).
(25) الطيب محمد الطيب، المسيد (الخرطوم: هيئة الخرطوم للطباعة والنشر، كتاب الخرطوم (21)، 2010م).
(26) عامر عبد الحميد سيد أحمد، ما أهمله التاريخ (الأشراف العباسيون الهاشميون في السودان فروعهم وأنسابهم وتاريخهم الأشراف الشايقية نموذجاً)، (ب – ن).
(27) العباس عبد العال حمور، دنقلا العجوز، عاصمة السودان في زمن الحضارة النوبية والمسيحية والإسلامية(الخرطوم،2008م).
(28) عبد الله الطيب، هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ، ط2، (الخرطوم: مؤسسة العلامة عبد الله الطيب الخيرية، 2015م.
(29) عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م).

(30) عبد المنعم حسن الملك، دور ربيعة في صناعة تاريخ السودان (مملكة الشاطراب نموذجاً) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، شبكة الإنترنت، وإتصال هاتفي مع الكاتب في شهر أبريل (تقريباً) عام 2018م.
(31) عز الدين سعيد إدريس سيد احمد، موظف بالمعاش، 70 عام الإمارات العربية المتحدة، تسجيل صوتي بالواتساب، بتاريخ 2016/8/7م.
(32) عطية القوصي، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، (القاهرة: دار المعارف، 1976م).
(33) علوية حسن عثمان ، معلمة ، 58 عاماً تقريباً ، مقابلة معها بمنزل بشرى شيخ الدين ، المزاد - الخرطوم بحري، بتاريخ 2017/4/5م.
(34) على يوسف آدم إبراهيم (شيخو)، ملامح من تاريخ وتراث الميدوب، (الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم، 2016م).
(35) عمر عبد الرحيم سلطان، 80 عام تقريباً ، تاجر ، مقابلة بمنزله بأركويت - الخرطوم بتاريخ 2016/8/3م.
(36) عوض أحمد حسين شبا ، أغنية السيرة السردية الدنقلاوية ، كتاب غير منشور.
(37) --------------، المقاودة - الاسم والتاريخ - مقال غير منشور.
(38) --------------، الأصل الأكسومي الحميري للأسرة الملكية لمملكة المقرة، مجلة القلزم للدراسات العلمية ،ع 2، يونيو 2020م.
(39) --------------، الإسلام في دنقلا.. مدخل لدراسة تاريخ الإسلام في السودان، ط1(الخرطوم، 2010م).
(40) --------------، دنقلا والدناقلة، ط2، (الخرطوم، 2008م).
(41) عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج2 ،(الخرطوم 1996م).
(42) عينات من عمق تاريخ السودان، الحلقة الأولى (ملوك المقرة)، موقع السلالات العربية على صفحات الانترنت ..
(43) فاطمة أحمد على ، رجال الخلاوي في السودان، ج1 ، (الخرطوم: دار البلد، 2001م).
(44) فاطمة أحمد على، مقابلة بمنزلها، 60 عام تقريباً، باحثة في التأريخ والتراث، دكتوراه في تاريخ السودان الحديث، الحاج يوسف، الخرطوم، بتاريخ 2017/5/3م.
(45) فاطمة على عبد الرحيم نصر، الآثار والتاريخ والتراث في منصور كتي، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس، مرتبة الشرف، قسم الآثار، كلية الآداب جامعة الخرطوم 2014.
(46) فوزي عبد الرازق بيلي مكاوي، (مملكة أكسوم - دراسة لتاريخ المملكة السياسي وبعض جوانب حضارتها)، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1974م.

(47) ك. باربر، الموجز في جغرافيا السودان الإقليمية، ترجمة: هنري رياض وآخرون، (بيروت، 1968م).
(48) ل. كورباتشيك، «النوبة في نهاية القرن الثاني عشر وحتى فتح الفونج في بداية القرن السادس عشر، في تاريخ أفريقيا العام، مج4، اليونيسكو، 1998م.
(49) لينان دوبلفون، يوميات رحلة إلى مروى في سنتي 1821 1822- م ترجمة: فضل الله إسماعيل على، (الخرطوم: جامعة السودان المفتوحة 2010م).
(50) محمد الحسن عبد الصمد، «مملكة الدفار: التاريخ والآثار العلمية والثقافية والاجتماعية والدعوية»، محاضرة بتاريخ 2012/6/24م.
(51) محمد المصطفى النور، « أولاد ألس – الإزاحة السكانية واللغوية والثقافية للعناصر الأصلية والتحول نحو العربية – الإسلامية في المنطقة الممتدة بين منصور كتي والدبة من خلال الروايات الشفاهية»، ورقة مقدمة في مؤتمر: «سنار: المدينة - الدولة – الحضارة»، ضمن فعاليات سنار عاصمة الثقافة الإسلامية 2017م، بتاريخ 31 مايو – 1 يونيو 2016م، قاعة الصداقة، الخرطوم.
(52) محمد بن على العجيمي، المولد المسمى بكامل الأنوار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم، ط3 ، (الخرطوم: مطبعة التمدن، ربيع الأول 1393هـ).
(53) محمد جلال أحمد هاشم، جزيرة صاي ، قصة الحضارة، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني، 2014م).
(54) محمد حسين محمد محمود ، موظف بالمعاش، نقابي سابق ، مهتم بالتراث، 70 عام تقريباً، مقابلة بمنزل عثمان حسين محمد محمود، الحاج يوسف، الخرطوم بتاريخ 2018/6/2م.
(55) محمد سعيد أحمد عبد الله ، من تاريخ منطقة دنقلا (الخرطوم: 1987م) بحث مطبوع بالآلة الكاتبة.
(56) محمد عبد الرحمن أبو سبيب «أدوات الزينة عند الشايقية وأصولها الثقافية، دراسة في الجمالية الشعبية»، مركز عبد الكريم ميرغني (ب. ت.).
(57) محمد عبد الرحيم، النداء في دفع الافتراء، (القاهرة: مطبعة البرلمان، 1952م).
(58) محمد كنده، باحث ومؤرخ من جبال النوبة، الخرطوم بتاريخ 2012/4/8م.
(59) محي الدين تيتاوي ، صحفي سوداني معروف، 70 عام تقريباً، مقابلة بمنزله بالخرطوم، يوم 2016/6/9م.
(60) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، (الخرطوم: دار المصورات للنشر، 2011م).

(61) المقريزي (ت 845هـ/ 1445م)، أحمد على، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، الخرطوم: مطبعة جامعة القاهرة ، بالخرطوم، 1972م).

(62) موقع موسوعة وكيبيديا، شبكة الانترنت.

(63) ميرغني ديشاب ، تاريخ الإسلام في دنقلا ، كتاب غير منشور.

(64) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، تقديم: فدوى عبد الرحمن على طه، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع،2007م).

(65) هارولد ، أ. مكمايكل ، تاريخ العرب في السودان (بما فيهم الشعوب التي سبقتهم وسكان دارفور)، الكتاب الأول، تعريب: سيد محمد على ديدان، طذ، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي ، 2012م).

(66) و.نوكلز، الشايقية، وصف لقبائل الشايقية وتاريخ مديرية دنقلا من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر، ، ترجمة: عبدالمجيد عابدين، ط 1،(ب. ن).

(67) وليامز آدمز، النوبة رواق أفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، ط2 (القاهرة: 2005م).

(68) يان فانيسيا ، المأثورات الشفاهية ، ترجمة: أحمد مرسى ، (القاهرة: مكتبة الدراسات الشعبية، 1999م).

(69) يوسف فضل حسن ، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (1450-1821م)، ط4، (الخرطوم: 2003م).

(70) يوسف فضل حسن، الكتابة التاريخية في سودان وادي النيل (ملامح من بدايتها، ملاحظات - حول تطورها، ورؤى حول مستقبلها)، (الخرطوم: الجمعية التاريخية السودانية، 2018م).

(71) B. Zwawzki، The southern Dongola Reach survey: the first season (1998)،Nubian Studies، Boston 1998، pp. 472 – 484.

(72) J. Philips: The southern Dongola Reach survey, The first season (1998): Areview if the Ceramices and other finds، Nubian Studies، Boston 1998، pp. 371 – 383.

(73) S. Trimingham, Islamin Sudan, (London, 1949).

(74) R.S.O, Fahey and J. L, Spaulding "Kindoms of the Sudan", 1974.

رقم الإيداع : (0607/ 2021)



ISBN 5-0-804-99988-978 ردمك
رقم الإيداع:0607/2021